

أوجه التلاقى بين النقد الأدبي عند العرب ونظيره عند الغربيين

د / وجيهة محمد المكاوى

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر بالمنصورة

التكميل

معالم التلاقى بين الأسس النقدية فى التراث العربى الإسلامى والمذاهب النقدية الحديثة .

الأدب والفن دعامتا الإنسانية لا يوجد جنس بشرى خالى الوفاض من الأدب والفن ، أفقر الشعوب وأغناها ، يمتلك خاصيتي الأدب والفن ، الجذوة الأدبية تصبغ الحياة بشكل أفضل وقد تغيرها حتى تصوير الصبغة الخارجية سمة أساسية ، والفن هو رد الفعل الإنسانى تجاه الطبيعة ، فالحوار دائر بين الإنسان والكون المحتوية منذ زمن ، والإنسان يجمل هذا الحوار بالفن الملموس المجسم أو المسموح وفقاً للمعطيات الحضارية التى يعيشها الإنسان ، وبتطور العصور وتعاقبها تطورت لغة كليهما ، فالأدب تعددت مناحيه ، والفن تطورت سماته ومجاليه ، وانقسمت البشرية إلى عوالم متعددة منفصلة ... حاربها جميعاً الفن والأدب ليوحد جسور تلاقى وقنوات تعارف فنجحاً وتجمعت البشرية تحت رايات متعددة أهمها الرايات الإنسانية والمشاعر الوجدانية ، " ظل الأدب العربى مسيطراً على هذا العالم القديم الذى سيطر عليه الأدب اليونانى منذ الإسكندر إلى ظهور الإسلام ، مع ما ناله من خطوب واختلف عليه من صروف ، ولكن قوى أخرى لم تستطع أن تمحوه أو تميته ، قاومه الفرس مقاومة شديدة فى القرنين الثانى والثالث ، وبنوع خاص فى القرن الرابع ، ثم قاومه الترك مقاومة عنيفة حتى طردوه من الشام والجنوه إلى مصر . وقاومته أوروبا فى أسبانيا وأفريقيا الشمالية . وما تزال أوروبا تقاومه فى كل مكان "

ولوأوه مرفوع لم تستطع قوة أن تنتزع منه هذا اللواء " (١) وبعد أن كان لكل مجتمع سمة متفردة وخاصية فاصلة له عن غيره ... تلاقت الأمم ، وتلاقحت الثقافات ، وامتزجت الرؤى ، فصارت رؤى إنسانية عامة يصعب ردها إلى جذورها الأولى لأن كل أمه تستهدى الأخرى ثمراتها ، فصار يصعب تواجد جديد جدية مطلقة في الأدب والفن كل له دعائم وركائز " بل إن الإنتاج العبقري في كل باب صار ملكاً للإنسانية جمعاء وليس خاصاً بمن أنتجه .

والتلاقح والأخذ والعطاء بين الآداب سمة أساسية تعتمد على

ركيزتين :

- أ. بلورة الأدب القومي وظهور ملامحه وتسييدها على الساحة
- ب. الاطلاع على الآداب الأخرى وهو قد يتأثر بالآداب الأخرى - آخذاً - حين يمد الآداب الأخرى ويغذيها بخلاصة ما توصل إليه - معطياً - ومن ثم يشكل حلقة في سلسلة الآداب الإنسانية وليس معنى الأخذ من الآداب الأخرى أن يفقد الأدب الأخذ هويته أو يتنازل عن جنسيته ، بل قد يأخذ وهو الأعلى فيصبغ المأخوذ بصبغته ويمهره بخاتمة ، فلا تعرف أن هناك دخيلاً بل كله أدب أصيل ، الفكر العربي امتاز بالصبغة الإسلامية ، التي لا نهلل للجديد لمجرد جديته ، فكثير من الأبحاث والاكتشافات جدت على الساحة الغربية وزاد صخب الغرب في الاحتفاء بها والتعظيم من شأنها لكن ديننا يرشد من هذا الاتدفاع ، ويدعو للتروى ، ومعاودة النظر ... ويتساءل هل ما استجد يتفق مع مبادئ ديننا وهويتنا ووظيفتنا من

(١) من حديث الشعر والنثر طه حسين ص ٥٦٥ دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢

الإعمار فتكون بحق أهل التعمير فإن كانت الإجابة بنعم فلا
 ضير بل ننغمس فى هذه المعارف ونبدع فيها ، وإن كانت الإجابة
 ... بلا فلا نقر به لأنه سيتنافى مع ديننا وفكرنا فحرية البحث
 للوصول إلى صحيح المعرفة لابد أن تلتقي مع شرعية الاستعمال
 للوصول إلى العمارة الحقه . وقد عرضت لفكرة التلاقى فى هذا
 البحث وفقاً للخطة الآتية :

تعريف النقد وأهميته

المبحث الأول : الأسس النقدية عند العرب القدامى

المبحث الثانى : المقاييس النقدية عند العرب القدامى

المبحث الثالث : النقد الأدبي الحديث - العوامل المؤثرة

المبحث الرابع : المذاهب النقدية الحديثة

المبحث الخامس : أوجه التلاقى بين الأسس النقدية فى التراث العربى

الإسلامي والمذاهب النقدية الحديثة

• الواقعية الفنية الاجتماعية

• النقد الغربى

• الاتباع والإبداع

• نظرية المحاكاة

بيجماليون برنارد شو - بيجماليون توفيق الحكيم

هذا وقد راعيت الإيجاز فى تسليط الأضواء على المباحث المختلفة

والله الموفق

أولاً : تعريف النقد .

النقد الأدبي : هذا العلم الفني الذوقي اختلفت الآراء فى تحديد مفهومه وبيان معناه ودلالته ... وذلك لاختلاف

المفاهيم والأغراض ، فالعرب القدامى كانوا مرتفعى الحس الذوقى .. سليقة وطبعاً دون أن يشغلوا أذهانهم بالحدود ، فهم سليمو اللسان دون أن يقعدوا قواعد النحو ، ويعرفوه ، كل منهم بصير على لسانه قبل لسان غيره دون أن يعرفوا ماهية النقد وحده .

فقد استعملت تلك الكلمة " النقد " استعمالات عديدة فاتسعت دلالتها وتشعب مفهومها وقد وردت فى كثير من المعاجم بدلالاتها المختلفة .

يقول محمد غنيمي هلال " النقد الأدبي ثمرة التفكير فى الآثار الأدبية لتقويمها ببيان زيفها من صحتها وتفسير نواحيها الفنية والحكم عليها بعد ذلك ^(١) وهنا نجد أن مفهوم كلمة نقد لديه كانت ذات دلالة أبعد مغزى وأكثر خصوصية ، ونقد الدرهم يعد العملية التالية للمفهوم النقدي وليس العملية الأولى على حد تعبير د/ بدوى طبانة لأن المقصود بالنقد الإعطاء والتناول .

استخدام كلمة نقد : تعد كلمة نقد من الكلمات التى استعملت فى الأدب القديم فقد استعملها قدامة بن جعفر

فى كتاب نقد الشعر وصرح فيه بأن النقد فى تخلص جيده من رديئه وهو أول كتاب يحمل فى عنوانه كلمة النقد ... كذلك استعملها الزمخشري فى " أساس البلاغة " على " نقد الكلام "

(١) المدخل إلى النقدي الأدبي/ محمد غنيمي هلال ص ٥٣ .

" ونقد الشعر " ثم استعملها الآمدي فى الموازنة وكذلك
بن رشيق القيرواني فى العمدة ..

والمعاني اللغوية لكلمة النقد لا تكاد تنفصل عن تحديد المفهوم
الإصطلاحي لكلمة النقد الأدبي بل لو حاولنا أن نطبق الأطر المختلفة
التي دارت فى فلكها كلمة " نقد " نجدها تتوافق مع المعنى المراد فى
النقد الأدبي .

(١) ونقد الأدب : مناقشة العمل الأدبي واستخلاص عناصر الجمال التى
سما بها ، وسمات القبح التى اتضح بها " ناقدت فلاناً فى الأمر :
ناقشته فيه ؛ نقدت الدراهم : إذا نظرتها لتعرف جيدها من رديئها "
(٢) ونقد الأدب : إبراز ما فيه من عيوب - كما يبرز ما فيه من محاسن
- " إن نقدت الناس نقدوك " وإن تركتهم تركوك : أي إن عبتهم
واغتبتهم بشيء قابلوك بمثله .

(٣) وفى النقد إشادة بإجادة المجيد ، وثلب للمقصر المسيء " نقدته
الحية : لدغته ، نقد الصبي الجوزة بإصبعه : ضربها . نقد أرنبته :
ضربها " وفى النقد إيذاء المنقود ، وفى اللدغ إيلام الملدوغ ، حين
يكشف الناقد عن أسباب الضعف فى عمله الأدبي

وهذا المعنى الأصلى " نقد الدراهم " لا نعني بنقدها تمييز جيدها
من رديئها ، وهو المعنى الذي أوردناه أولاً لأن كتب اللغة أوردته كذلك
، وإنما الذي نعنيه أن الإعطاء والتناول كانا أول المعاني التى عرفت
لهذا اللفظ، أما تمييز الجيد من الزيف ، فهو العملية التالية للأولي ، أو
العملية الثالثة لأولين ، وهذا هو الترتيب الذي يمليه التسلسل الطبيعي :
العطاء فالتناول فالتمييز . فالمعطي ينقد ، والآخذ يتناول ، ولعله بعد
ذلك يفحص ما أخذ ، ليستبين ما إذا كان أعطي الجيد أم أعطي الرديء !

غير أن دلالة النقد على أخذ الدراهم - وإن كان هو الأصل - لا تبقى كذلك ، بل تنتقل إلى غيرها ، ولكن معنى الأخذ والتناول يظل ملحوظاً في معظم المعاني التي استعملت فيها العرب كلمة " النقد " ويظهر بوضوح معنى الأخذ والتناول في حديث أبي ذر "جعل ينقد شيئاً من طعامهم " الذي فسروه بأنه كان يأكل شيئاً يسيراً ، وإن كان المعنى قد انتقل من الدراهم إلى صنوف الطعام ، وفيه أيضاً ما يمكن أن يفهم من ذلك ، وهو تضمن النقد معنى الانتقاء والاختيار .

ولا يبعد عن هذا المعنى " نقد " الرجل أرنبته بأصبعه إذا ضربها ، " ونقد " الصبي الجوزة ، و " مناقدتك " فلانا إذا ناقشته في الأمر ، تلك المفاعلة التي تقتضي الاشتراك في تناول الموضوع ، وتجاذب أطرافه بين "متناقشين " أو " تناقدين " وإن كان المعنى قد انتقل في هذا الاستعمال من تناول الأمور المادية إلى المسائل المعنوية .

ونقد الشيء " بالنظر ، الذي عنوا به اختلاس النظر نحوه أو إدامة النظر إليه ، لا يخرج عن معنى التناول والإصابة ، وإن كان المعنى قد انتقل أيضاً من تناول الشيء باليد إلى الإمعان فيه وتناوله بالبصر . وإذا لدغت الحية إنساناً فقد " نقدته " أو أصابته ، أو تناولته ، أو تمكنت منه وآذته .

واستعمل الأدباء العرب كلمة النقد بالاستعمالين لنقد الكلام شعره ونثره على السواء ، وبدأ ظهور ذلك في القرن الثالث الهجري على وجه التقريب يقول البحترى عن أبي العباس ثعلب ^(١) ما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً للألفاظ ، ورد عليه آخر فقال : أما نقده وتمييزه فهذه

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب أحمد أحمد بدوي ح ١ .

صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه ، وألف قدامه كتابيه: " نقد الشعر " و " نقد النثر " وألف ابن رشيق " العمدة فى صناعة الشعر ونقده " .

وسار النقاد العرب فى نقدهم على كل من الاستعماليين :

(أ) استعملوه فى القديم وفى الحديث على معنى التحليل والشرح والتمييز والحكم ، فالنقد عندهم دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها ، أو المقابلة ، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها وأكثر الذين كتبوا فى النقد العربى مشوا على هذا المعنى .

(ب) واستعملوه كذلك بمعنى العيب والمؤاخذة والتخطئة فألف المرزبانى كتابه " الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء " ويريد بالعلماء النقاد . ولا يزال النقد مستعملاً بهذا المعنى حتى اليوم عند بعض النقاد المعاصرين ويقابله التقريظ فهو المدح والإعجاب من قرظ الجلد إذا دبغه وذلك إنما يكون للتحسين والتزيين .

ويعرف المحدثون النقد - بناء على المعنى الأول فى الاستعمال اللغوى - فيقولون : إنه التقدير الصحيح لأي أثر فنى ، وبيان قيمته فى ذاته ودرجته بالنسبة إلى سواه فكلمة النقد تعنى فى مفهومها الدقيق الحكم وهو مفهوم نلحظه فى كل استعمالات الكلمة حتى فى أشدها عموماً ، والنقد الأدبى فى أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها على أن نفهم لفظة الأسلوب بمعناها الواسع وهو منحى الكاتب العالم وطريقته فى التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء .

فللنقد مهمتان مختلفتان : مهمة التفسير ، ومهمة الحكم أي إصدار الأحكام الأدبية فى قضايا الأدب ومشكلاته

المبحث الأول

الأسس النقدية عند العرب القدامى

أولاً : النقد فى صدر الإسلام

جاء الإسلام بثورة صحوية تنبه الناس من غفلتهم وتوقفهم من رقادهم المستديم ونظمت علاقتهم فيما بينهم وبين خالقهم وفيما بين بعضهم البعض سواء على مستوي الأفراد فى الأسرة الصغيرة ... فنظمت العلاقة بين الأشقاء وأبيهم وأمههم ... أو على مستوي الجماعات مع غيرهم من الأمم ، ونظرت فيما كان يشيع بهم من عادات وسلوك فما اتفق مع الإسلام لسلوك وعقيدة أقره وأبقى عليه وما خالفهم هاجمه وعمل على التخلص منه والرسول ﷺ أشار للمقياس الخلقي وضرورة مراعاته فيما يتلفظ به الإنسان ... فالشعر يسير فى المجتمع القبلي سيراً سريعاً لذا أحكمت القبضة عليه ووجهته توجيهاً إسلامياً يتمشى مع السلوك الديني الشفاف .

فقد أنشده النابغة الجعدى :

ويتلوكتابا كالمجرة نيرا

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

فيسأله الرسول ﷺ - وقد أحس أنه يفخر فخر الجاهليين - :

إلى أين يا أبا ليلى ؟ فيقول إلى الجنة يا رسول الله ! : فيعجب النبي مقالته ، ويقول وهو مغتبط بتلك الروح التى هذبها الإسلام " إلى الجنة إن شاء الله " .

ثم إذا أنشده :

بوادرتحمي صفوه أن يكدرها

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

ناظرا إلى قول الله تعالى " خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين : وإلى قول الرسول ﷺ : " ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب " يزداد إعجاب النبي به ، ويدعو له بقوله " لا يفضض الله فاك " (١)

والموروثات الشعرية جمدت حتى صارت قواعد لا بد أن يلتزمها اللاحقون مقتفين أثر السابقين " حمل الشعر العربى تراثه العربى قبل الإسلام وبعده ، كما حمل النص الشعرى موروثاته فيما بين الشعراء ومن الأجيال المختلفة وبين المتعاصرين حتى أصبح النص السابق بمثابة التراث للنص اللاحق وقد تبدى ذلك فى شكل القصيدة و صياغتها وأساليبها التى تتشابه وتكرر فيما بين القصائد فى العصر الواحد وفى العصور المتلاحقة .

تلك الأفكار والمعاني التى ارتضاها الرسول وخلفاؤه من الشعراء هي الأفكار والاتجاهات التى تلائم روح الإسلام ، سواء أكانت روحاً دينية أم كانت روحاً أخلاقية .

والدين والأخلاق يسيران دائما فى سبيل واحد ، ويهدفان إلى غاية واحدة ، هى صلاح العقيدة ، وصلاح المجتمع ، وتحصيل أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة .

ولقد ظلت الفكرة الدينية فى النظرة إلى الأدب سائدة ما دامت للدين المنزلة فى القلوب ، ومادام سلطانه قويا على العقول فإذا كانت

(١) الشعر والشعراء ١ / ٢٤٨

فترات للتحلل من قيود الدين ، والاحتراف عن أهدافه ، ضعف هذا المقياس ، وتلاشى بسبب ضعف الوازع الديني أو الوازع الخلقى .
وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول " فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة "

وظهرت المؤلفات القيمة في مختلف المجالات التي تدل على تغير العقلية العربية بعد أن اختلطت بعلوم يونانية وفارسية وآرامية على يد العرب والموالي وغيرهما وظهرت مؤلفات نقدية تعد الآن الجذور الأولى والأساس الذي بني عليه صرح النقد الأدبي ولم تتخذ هذه المؤلفات منهاجاً واحداً بل ولا موضوعاً محدداً أفاضوا فيه بل تعددت موضوعاتهم و اتجاهاتهم .

ولم تأخذ هذه المؤلفات منهاجاً واحداً فأصحابها :

- أ. منهم من التزم المنهج التاريخي : بذكر الشعراء أو الأحداث الهامة في حياتهم ومن مدح منهم ومن قدح مثل طبقات تحول الشعراء .
- ب. ومنهم من ركز على المآخذ التي عدها العلماء والنقاد على الشعراء وأهم هذه الكتب التي اقتصرت على هذا النوع المرشح للمرزباني
- ج . ومنهم من أخذ بالموازنة : حيث تعتبر مؤلفات نقدية خالصة لأنها قصرت دراستها على شاعر واحد أو شاعرين ، ونهجت في تلك الدراسة أسلوب الموازنة بين شاعرين ، أو بين شاعر ونظرائه في الموضوع أو في المعنى أو في الأسلوب . ومن هذه الكتب كتاب " الموازنة بين الطائيين " لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى .

د . منهم من إتجه اتجاهًا عاماً : حيث لم تختص بشاعر الكتب بعينه وإنما سلكت مسلكاً فنياً حيث نظرت في طبيعة الفن وأركانه ودرست

جوهره وشكله وأحصت عوامل نموه وأسباب ضعفه مثل عيار الشعر لابن طباطبا .

هـ . ومنهم من اتجه اتجاهاً أكثر عمومية وهي كتب الأدب والبيان ذات الأسلوب الاستطرادي أو أسلوب المحاضرات ككتاب " البيان والتبين " لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

وسيطرت ظاهرة جديدة فى العصر العباسي لم تعرفها العصور السابقة وهي الاختلاط بجنسيات متعددة اتسمت بثقافات مغايرة .

زودت النظم بجديد شعور ، وأرقدت الشعر بجديد معانٍ وزودت النظم بجديد أداء ، فالاطلاع على الثقافات الأخرى والانفتاح على العالم الآخر يثرى الحياة ويغير نمطها المعتاد ويصبغها بالجدة " وهذا التجديد ليس إلا متابعة الحياة من حيث عاقبتها غفوة اجتماعية ، ومواصلة النماء من حيث أوقفته عوامل جمود " ^(١) بالاطلاع على الآداب المختلفة ، يفيد القائل والمتلقي على السواء ، فبدلاً من محدودية الرؤية وتركيزها من ناحية واحدة يتسع الأفق ، وتتسع الرؤية ، كذلك تتسع النظرة فبدلاً من الانشغال بالذات وأوهامه الشخصية سواء أكان ذلك إرضاءً لنفسه أو خضوعاً للمعنيين نجده بعد الاطلاع على الآداب المختلفة والعقليات الجديدة القائل والمتلقي " فطن إلى مكانه الصحيح من الموكب الإنساني ، فهو لم يعد مزهواً بالغناء والحداء والإطراء

(١) مناهج التجديد أمين الخولي ص ١٠٩ ج ١٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ .

والهجاء ... بل لأن منزلته أكرم حين اطلع بتوجيه الجموع الهادره لشعره ... أصبح قوة دافعة وطاقه معينة تحفز وتثير " (١) .

وهذا ما حدث فى العصر العباسى فالتغيير والتجديد أصاب كل شيء : المعنى ، الأسلوب ، الأغراض ، وطريقة الأداء . ولاشك أن هذا التغيير أصاب النقد فتعددت الألفاظ ، وصنفوها إلى ما يقاس عليه وما لا يقاس عليه ، وتكلموا عن لغة الشعر وما يستحسن منها وما يستكره ، فوصفوا " بشار " بأن ينظم الشذرة ثم يجعل إلى جانبها بعة . وأحصوا على الشعراء أخطاءهم فى النحو واللغة ، وبعد أن وقع الخليل علم العروض أحصوا ضرورات الشعر والخلل الواقع فى الوزن والقافية بعد أن كان ذلك طبعاً وسليقة كذلك توجهوا تلقاء الخيال والاستعارة والكناية وعابوا البعد المفضي إلى التعقيد .

كذلك شجعوا على الابتكار وبحثوا عن وجود شخصية الأديب .

ومن ذلك أن أبا حاتم السجستاني قال للأصمعي : أبشار أشعر أم مروان ابن أبي حفصة؟ فقال : بشار أشعرهما ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن مروان سلك طريقاً كثر سلاكه فلم يلحق بمن تقدمه وأن بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه أحد فاتفرد به وأحسن فيه .

وهكذا نرى العلماء قد طوفوا بأفاق الفن الشعرى ، وتناولوا فى تقديم كل جزئية من جزئياته فى الشكل وفى الجوهر وكانت جولاتهم ونظراتهم من أهم ما عني به النقاد ذوو التأليف النقدية التى حفظها الزمن حتى وصلت إلينا .

(١) خصائص الشعر الحديث د/ نعمات أحمد فؤاد ص ٩ مطبعة مخيمر

كذلك وضعت علوم العربية وقَعِدَت القواعد وقد سلط النقاد أضواءهم على المؤثرات فى الشعر التى تجعله يتزيا زياً ما ... لفظاً ومعنى فيميل تارة إلى التحضر وأخرى إلى البدواة رقيقاً حيناً ... وجافياً حيناً آخر ، ونظروا إلى الفنون القولية فرتبوها من حيث ميل النفس إلى إحداها قبل الآخر .. واهتمامها بنوع أكثر من آخر .

ثم نظروا إلى القصيدة نظرة تحليلية من حيث بنائها ... المطالع ، والمقاطع ، والانتقال من غرض إلى آخر ، ووحدۃ البيت وحسن تنسيق القصيدة ، وترتيب البيت وموضعه من باقى الأبيات من حيث المعنى وينشروا القصيدة نشر الاستقصاء والتمحيص ليروا مدي توافر العمق أو السطحية التناسب أو التنافر التجديد أو التقليد الكذب أم الصدق ومن ناحية الأسلوب ، ففرقوا بين الأسلوب الجزل ، والأسلوب السهل ، وعرفوا الأسلوب الواضح ، والكلام المعقد ، والمطبوع والمتكلف ، والمتحد النسج والمختلف كما درسوا ألوان محسنات الأسلوب وأنواع الزخارف التى تكسبه الجمال إذا كانت بمقدار ، ووقفوا طويلاً عند الكلمة فعرفوا السهلة ، والثقيلة ، والوحشية ، والغريبة ، والسوقية ، المبتذلة والموحية ، والجزلة ، والتمكنة ، والدقيقة ، والمشتركة .

" وعرفوا أوزان الشعر ، وما قد يجد فيها من عيوب تضعف موسيقى الشعر ، وتذهب بجمال وزنه .

ومن ناحية الخيال ، عرفوا منه الخيال الوصفى الذى يتجلى فى المجاز ، والتشبيه والاستعارة والكناية فبينوا المقبول منه والمرفوض ،

وعرفوا بطبيعته ، وفرقوا بين بعض أنواعه وبعض أما العاطفة فعبروا عنها بقواعد الشعر " (١).

لأن التعبير بالعاطفة لم يكن معروفاً عندهم بهذا المعنى الاصطلاحي .

وأدركوا أن المعاني الشعرية ، والعواطف النفسية إنما يتوصل إلى توضيحها بالخيال وبضرب الأمثال .

كما كان من موضوعات النقد المفاضلة بين الشعراء ومعرفة ماتفرّد فيه الشاعر وما شارك فيه غيره.. وتفوقه هذا هل صاحبه في إنتاجه كله أم في فن واحد أجاده بشكل متميز عن غيره .

ورتبوا الشعراء طبقات حسب ما أجادوا وأحسنوا ونبهوا على ضرورة التوثيق ... من نسبة القصيدة إلى مقصدها وصحة نسب كل بيت إلى القصيدة وقائلها ... بعدما زاد التزويد والتقول ودس الشعر على غير قائله .

ولطف الشعراء ودقوا في نقدهم فتناولوا بالنقد الإحساس وسلطوا عليه الضوء ليعرفوا مزيفه من حقيقه فلم يترك النقد والنقاد شيئاً إلا وتناولوه بالنقد والمفاضلة لمعرفة ما غث وما ثمن .

والنقد قائم على التسجيل والتوجيه غالباً بمعنى أن الناقد قد يرد الأبيات التي تنقد ثم يعقب الناقد بالمدح أو القدح بالشرح والتفسير أو كلمات قلائل .

وقد يكون الحكم عاماً بلا تفصيل كأن يقول إن لهذا الكلام رونقاً وفيه ماء وغير ذلك من العبارات العامة .

ويسبق العملية النقدية مراحل أربع يمر بها الإنتاج الأدبي : -

أما المرحلة الأولى :- فمرحلة التفكير فى العمل الأدبي بأن يتدبر المعاني التى يريد نظمها فيخطرها ببالة نثراً ، ثم يعد لهذه المعاني الألفاظ المناسبة والوزن والقافية ، المناسبين لتلك المعاني فتكون المرحلة الأولى هي مرحلة التفكير فى المعانى التى تناسب الموضوع الذي يشغل بال الشاعر .

أما المرحلة الثانية :- فمرحلة الإنتاج ، وفيها يخطر على بال الشاعر بيت من الشعر يشاكل المعنى الذي يرومه فيثبته ويتخذه أساساً يبني عليه قصيدته كلها فيشغل نفسه بنظم معانيه متناسبة مع القوافي التى تلائم قافية البيت الأول . ثم يكتب الأبيات كما تتوارد على قلمه ، من غير أن تكون مرتبة ولا منسقة بل حسبما اتفق .

المرحلة الثالثة :- هي مرحلة الترتيب والتنسيق وذلك بعد أن يكمل له نظم المعاني التى يريدha فيرتب الأبيات متوخياً تسلسل معانيها وارتباط بعضها ببعض فإذا وجد فجوة فيها نظم من الشعر ما يربط بينها ويجعل ترتيبها متسقاً لا تنتقل النفس فيه انتقالاً فجائياً أو تشعر فيه بالقلق والحرج .

المرحلة الرابعة تأتى بعد ذلك وهي مرحلة التثقيف والتهديب وفيها يقف عند كل كلمة ، وكل قافية وكل بيت وأمام القصيدة برمتها ليهذب ما خشن ويقوم ما أعوج فإذا رأى كلمة نافرة أو ثقيلة ، أو غير دقيقة فى أداء معناها ، غيرها بسواها مما سهل ودق فى نقل المعنى وهكذا يفعل بالقافية حتى تستقر فى مكانها ويقف أمام البيت ليرى صلته بما قبله وما بعده وأمام القصيدة حتى تصبح كالبيت المبني الذي ارتبط

بعض أجزائه ببعض وحتى تصوير متينة البناء ، متحدة النسيج ، لا تفاوت
فى نظمها ولا اضطراب .

تلك هي الخطة العملية التى رسمها صاحب عيار الشعر (١)
لإنتاج النص الشعري ، وربما لا يزيد النقاد المحدثون على هذه الخطة
شيئاً .

إن كتب الاختيار فى الأدب العربى جعلت من هذا الأدب بخاصة
الشعر - بانوراما حية مضيئة ... وهي متنوعة كتب الحماسة الشعرية
، وكتب الأمالي المختلفة أمالى القالى ، أمالى المرتضى ، أمالى
الزجاجي (٢)

وهو هنا يستجيب للحاسة الفنية التى تقع بداخله بالإحساس
الفنى حينما يجسد فى كلمات يتفوهاها الشاعر " يحقق عناقاً بين الوجود
والوجدان بين عالم المادة وعالم المدة ، بين الشيء والمشبه به ، بين
الطبع والطبيعة وكان يمكن أن نقول أن الفن الإسلامى فى تاريخه
مرتقياً من الوجود إلى الوجدان (٣) .

كل ذلك وضع من خلال النماذج الشعرية التى حفظت على
الأزمان المتعاقبة والحقبة المتلاحقة ومن حفظها حفظت معها رؤى
العربى القديم ومنهاج حياته .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٦ .

(٢) نصوص من النقد العربى القديم د/محمود الربيعى مطابع سجل العرب

ب . ت

(٣) علم النفس والأدب د / سامى الدروبي ص ٢٩ دار المعارف ١٩٨١

" حمل الشعر تراث العربي قبل الإسلام وبعده ، كما حمل النص الشعري موروثاته فيما بين الشعراء من الأجيال المختلفة وبين المتعاصرين ، حتى أصبح النص السابق بمثابة التراث للنص اللاحق وقد تبدي ذلك فى شكل القصيدة وصياغتها وأساليبها التى تتشابه وتكرر فيما بين القصائد فى العصر الواحد وفى العصور المتلاحقة .

المبحث الثاني

المقاييس النقدية عند النقاد العرب

العرب أمة شاعرة كلمة يعرف معناها القاصي والداني فالعربي لرقعة شعوره وسمو إحساسه ركب الشعر بوجهه في كل نواحيه ، يحمله كل أغراضه لذا فإن " تراثنا الشعري ليس بدعاً من تراث الأمم الشعري فهو يحمل لنا حياة أسلافنا مع اختلاف صورها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ^(١) ومع تطور الزمان واختلاف الحضارات زاحم الشعر أغراض أدبية أخرى : كالقصة والخطبة والرسالة... ثم ازداد التطور في ظل النفسية الحديثة وسحب البساط من تحت الشعر وأنزل عن عرشه حتى اتهمه البعض بعدم الفائدة و برر كثافة وجوده قديماً بوجود الحاجة الملحة له في العصور الهمجية .. أما الآن فالواقع اختلف ورفض ذلك الرأي كثيرون على رأسهم العقاد الذي أكد أن الدنيا لم تخل من الكواعب الفواتن و الأيفاع الحسان ، وأنه على رغم اتساع الرقعة المدنية إلا أن " الكون لم يصغر والدنيا لم تنقص ، ونواميس الطبيعة لم تضعف ، ولم يصبح هذا الكون اليوم أقل استحقاقاً لإعجابنا ودهشتنا مما كان في أعين الهمج الجاهلين " ^(٢) .

(١) فصول في الشعر ونقده د / شوقي ضيف ط ١٢ دار المعارف ص ١

(٢) سوانح وآراء في الأدب والأدباء طه أبوكريشة الشركة المصرية العامة

للنشر لولنجمان ١٩٩٧ .

والحق أنه كلما زاد التطور وكشفت الحضارة عن بعض وجوها الموحشه زادت احتياجاتنا إلى الفن وهي كلمة مجملة " بكل ما اشتمل الوعي الأوربي الاستطايقي الحديث من مضامين محكمة دقيقة " (١) .
والعربي القديم عاش أحداثاً متنوعة سجلها في الأدب الذي انتقل إلينا فنستطيع أن نتبين معيشة العربي القديم حياته وأحداثها فكره ورويته ... فالأدب لا ينقل الأفكار والأجناس فقط بل يعطي صورة عن الأمم المنقول عنها " كيف كانوا يعيشون ، كيف كانوا يفكرون ، كيف كانوا يتبادلون الحياة ، وكيف كانوا يستقبلون أحداثها ، ووقع هذه الأحداث على نفوسهم ، وهو لذلك يعد وثائق تاريخية واجتماعية مهمة " (٢) .

والفن له أهمية لا تقاوم فهو " يوحى لنفس الإنسان بالجمال والحب وإشراق الحياة ووضاعة الكون وبذلك يربي حاسة الذوق وينمي خيال الإبداع " (٣) .

ولأنها أمة فن وذوق فهم ينظرون في الأشياء ويحبون أن يوسم كل ما ينسب لهم بالتميز والإجادة لذا وضعوا ضوابط وقوانين - وفق تصورهم - تكفل لهم ذلك .

وقد وضعت مقاييس نقدية وقد تطورت مع التطور العصري فالأدب في العصر الجاهلي كان يحكمه قاعدة الذوق والحاسة الفنية لكن

(١) مبادئ الفن ت روبين جورج كولنجوود ، ت د / أحمد حمدي محمود
مراجعة على أدهم تقديم د/ماهر شفيق فريد الهيئة العامة للكتاب ص
٢٠٠١

(٢) فصول في الشعر ونقده د / شوقي ضيف ص ٩ .

(٣) أدب الأطفال في البدء كانت الأنشودة د / أنس داود ص ٧٩
دار المعارف ١٩٩٣ .

أخذ في التطور شأنه شأن الحياة " فنية العمل الفني وتكوينه وخصائص علاقاته الخاصة المركبة والمتنامية تعكس بلا جدال لتركيب الواقع الاجتماعي وعلاقاته الطبيعية وتناقضاته التي تصنع حركته الدائبة " (١)

والشاعر الجاهلي أودع شعره حياته وتفصيلها وجزئياتها والشعر هو الخلق الجميل الموقع ، والشعر يقصد فيه إلى التأمل في تجربة ذاتية لنقل صورتها الجميلة ، " فالشعر الغنائي له السبق على غيره من أنواع الشعر الموضوعي . والحكم الوحيد فيه هو الذوق لا الفكر ذلك أن موضوع الذوق هو الجمال والذوق لا شأن له بالواجب الذي هو موضوع الحاسة الخلقية ، لكن الذوق - مع ذلك - يشرح مواطن الجمال في الواجب من حيث هو جميل " (٢)

ففكرة الجمال يحكم فيها الذوق ويقيم عليها البراهين والأدلة

١- من المقاييس النقدية عند العرب : يعبر عن تمكن الشاعر

واقتراده وهل سبق لهذا المعنى فهو تابع أم لم يسبق إليه فهو متبوع والمعروف أن الشعراء إذا ما وجدوا معنى جيداً ادعوه لأنفسهم ونازعوا فيه قائله وقالوا لم نطالعه بل جاءنا هذا المعنى ابتداءً كما جاء لذلك الشاعر ما عدا قيد الأوابد فهي لإمرئ القيس .

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(١) الشاعر والتراث د / مدحت الجيار ص ١١٣ .

(٢) النقد العربي الحديث د / محمد غنيمي هلال ص ٢٩٠ دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

فالابتكار من المقاييس الهامة التى تلفت نظر النقاد فإذا ما برع الشاعر فى قوله وقفوا منه وقوف المتأمل ولم ينازعوه كما حدث مع عنتره حينما وصف الذباب فلم يحاول أحد مجاراته ، ومن جاراته قصر باعه عن محاكاته يقول عنتره :

جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل قـرارة كالدرهم
فترى الذباب بها ، فليس ببارح هزجا ، كفعل الشارب المترنم
غردا يحك ذراعه بذارعه فعل المكب على الزناد الأجزم (١)

قال : يريد فعل الأقطع المكب على الزناد . والأجزم : المقطوع اليدين ، فوصف الذباب إذا كان واقفاً ، ثم حك إحدى يديه بالأخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك .

فهو يدل على براعة عنتره واقتداره وغلبته ومواهبه الذاتيه القادرة على الرصد وإجادة التعبير .

لذا فلا بد من فهم النص فى ضوء فهم حياة ناظمه فذلك يفسر الكثير مما أتى فى النص " فيتم التزاوج بين الشاعر والنص انطلاقاً من الفكرة التى تعتبر العمل الشعري نتاجاً لذات فردية " (١)

فقوة عنتره وروحه المتحضرة صبت فى شعره فأبدعت هذا الوصف المنفرد الذى كتب باسمه فى كتب النقد والشعر ، وقد تناولوه

(١) الثرة : غزيرة الماء . وهزج : ترنم وطرب فى غنائه .

(١) سوسيولوجيا الغزل العربي د/ الطاهر لبيب ص ١٩ ط ١ سينا للنشر

بالشرح من وجوه كثيرة " تحليل هذا الشعر من الداخل أي استيضاح جملة الدلالات الداخلية التي ينبغي الوصول إليها " (٢).

وقد يعجب اللاحق بقول السابق فيضيف إليه أو يقصر عنه ...
المهم أن روح الشاعر القديم المبتكر تكون مسيطرة
وأن مالك بن الريب (٣) سبق ، فقال :

والحر يكفيه الوعيد

العبد يقرع بالعصا

فأخذه عنه غيره ، فقال :

والحر تكفيه الإشارة (٤)

العبد يقرع بالعصا

وأن المرقش الأصغر (١) سبق ، فقال :

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ومن يغولاً يعدم على الغي لانماً

فالتجديد والتحديث سمة إنسانية عادية فلا بد أن يضيف الآخذ لما أخذ " كل عمل فنى صادق أو جديد ينتمى إلى كيان واحد هو كيان الفن الإنسانى الذى تختلف تقاليده وتتنوع على مر العصور ولا بد من إضافة يضيفها الخالف لما أنتجه السالف . فى أثناء الإبداع الأدبى يتم تحويل النقد من أداة توصيل وتواصل أو تعبير إلى أداة تبغى حمل رسالة وهذا لا يتم " إلا عن طريق الوعى بالتراث والإلمام بالتقاليد الفنية القائمة فى أدب المجتمع بحيث تتجسد التجربة الشعرية من خلاله " (٢).

(٢) المرجع السابق ص ٢٠

(٣) من شعراء العصر الأموى . راجع الشعر والشعراء ص ٧٦

(٤) الشعر والشعراء ص ٧٧

(١) شاعر جاهلي ، من عشاق العرب المشهورين

(٢) الأدب وفنونه د / محمد عناني ص ٢١ ط ١ الهيئة المصرية العامة

٣- الوفاء بالمعنى : وهو متفرع عن الابتكار والتقليد وهو

استيفاء المعنى وأجزائه وإيرادها على وجه جيد بحيث لا يترك جزءاً من أجزاء المعنى إلا و يورده و يأتي على وجوه عدة منها التنقيح وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع شيئاً تتم به صحته وتكمل معه جودته ، ويكون فيه تمامه إلا أورده حتى يصور المعنى تصويراً مؤثراً ومثل قول كعب بن سعد الغنوى (٣)

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب (١)

فقد تم الشاعر معنى وصفه بالحلم بأن ذلك مادام الحلم فضيلة تزين صاحبه ، وبأن هذا الحلم لم يحل بينه وبين أن يكون مهيباً في أعين أعدائه ، وبهذا أصبح حلم أخيه مبرراً من الجبن وغير جالب عليه استهانة عدوه به :

ومثل قول النمر بن تولب (٢) :

لقد أصبح البيض الغواني كأنما يرين ، إذا ما كنت فيهن أجربا

وكننت إذا لاقيته ببلى — دة يقلن على النكراء : أهلا ومرحبا

فقول الشاعر : " على النكراء " تتميم ، لأنه لو كانت بينه

وبينهن معرفة لم ينكر أن يقلن له : أهلا ومرحبا (٣)

وقول الشاعر :

وقل من جد في أمر يطالبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر (٤)

(٣) شاعر جاهلي أشعر شعره رائيته التي يرثي بها أخاه ومنها هذا البيت

(١) نقد الشعر ص ٥٠

(٢) شاعر مخضرم من ذوى النعمة ، أسلم ، وعمر طويلا .

(٣) نقد الشعر ص ٥٠ .

(٤) الصناعتين ص ٣٨٠ .

فاستصحب الصبر يتم به المعنى ، لأن الفوز بالظفر شرطه الجد ، واستصحب الصبر معا وقول زهير :

من يلق يوما على علاقته هراماً يلق السباحة منه والندى خلقاً^(٥)

فقوله : " على علاقته " تتميم لوصفه بالكرم ؛ لأن معنى العلات الحالات والشئون المختلفة ، والأحداث تشغل صاحبها ، فهو يريد أن يصفه بالكرم فى جميع أحواله ، وفى كل ظروفه .

ومنها الاعتراض والتقسيم والتفسير والتذييل وكلها متعلقة بالمعنى مرتبطة به .

فالاعتراض أن يتطرق الشاعر لحكم جديد مبني على الحكم القديم مرتبط به أشد الارتباط منه قول النابغة .

ألا زعمت بوسعد باني "ألا كذبوا" كبير السن فاني

فقد عني بتكذيبهم قبل إتمام كلامه وحديثه كذلك دعاء الشاعر للسامع فى قوله .

إن الثمانين "وبلغتها" قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ومن التقسيم الجيد أن يكون الفاضل مستوفيا للأجزاء والأقسام التى ذكرها الشاعر مثل :

فقال فريق القوم : لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما ندرى

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ، فاستوفى جميع الأقسام^(١)

وقول بشار يصف هزيمة :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجى الفرار مثاليه

(٥) العمدة ٢ : ٤١ .

(١) العمدة ٢ : ١٩ .

فراحوا : فريق فى الإسار ، ومثله قتييل ، ومثل لاذ بالبحر هاربه

فالببيت الأول قسمان : إما موت ، وإما حياة تورث عاراً

ومثلبة والبيت الثانى ثلاثة أقسام : أسير ، وقتيل ، وهارب فاستقصى جميع الأقسام ^(١)

فهذه المعانى تتسم بالإبداع والتناسق والترابط الشديد فيما بينها بل أن " المعترضات " لجمال موقعها صارت جزءاً من الأبيات المشكلة للمعنى " الكلمات الأساسية إشارات تتحرر من سياقاتها الجزئية التى تخدمها والمسألة واضحة فقد كان مالارميه يقول إن الشعر يصنع من كلمات لا أفكار " ^(٢)

وكذلك هناك التفسير وهو أكثر خصوصية من التقسيم ، كذلك التذييل ، وقد أمثلت كتب الشعر بذكر نماذج متنوعة للأقسام كافة .

٣- العلم والمنطق : هل يشترط أن يحوى الشعر معلومة علمية

أو قصة منطقية ... ؟ لم يشترطوا ذلك بل طالب النقد الشعراء تمام التثبت والتيقن مما يورده فى شعره فلا يورد كلاماً خاطئاً أو معلومة غير صحيحة " إذا كان العلم بطبيعته لا يسمح لأى شخص بأن يدلى بآرائه الشخصية فى نظرياته المتعددة لأنها تتعامل مع الحقائق ، وأن هذه الآراء الشخصية مقبولة فقط فى حالة قيامها على أساس علمى نظرى أو منطقى ، فالأدب لا يكتسب مثل هذه المناعة ضد المدعين لأنه

^(١) المرجع السابق ص ١٨ .

^(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

يتعامل مع النفس البشرية بكل متناقضاتها وصراعاتها المحيرة التى يستحيل وضع حدود فاصلة لتمييزها بشكل نهائي " (١) .

٤-المقياس النفسي : والمقصود بالمقياس النفسي الأريحية التى يحدثها سماع الشعر فى النفوس فتلك

الأريحية لا تتأتى لكل أحد ، بل بمقدار ما يحمل الشعر شحنات نفسية ، وشعورية ، قوية ، ولقى نفساً مهياً لقبوله أحدث ذلك الأريحية المرجوة فيقول بن رشيق (٢) إنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذى وضع له وبني عليه . لا ما سواه " وكذلك غيره من النقاد أعلوا من هذا المقياس ورفعوا شأنه وتحدث عنه وأعلاه ابن أبي عتيق والجرجاني .

فالإحساس يسيطر على الأديب ويدخله فى عناقيد متلاحمه من المشاعر قد توسم بالتناقض وقد توسم بالتوافق ولكن حينما تصب فى ألفاظ تحويلها وتلقى على الناس يصير الحكم عليها أسهل والإحاطة بها أشمل " الأديب ليس من شأنه أن يعرف الوداعة والكسل إلا عند صبه على الورق " (١) فالورق الآن يقوم مقام الآذان آنذاك .

٥-المقياس الإنساني هو أن يكون معنى الشعر مما يتفق

مع الشعور الإنساني ، الطبيعة الإنسانية السامية التى ترنو إلى الخلق

(١) صوت الشعر القديم د/مصطفى ناصف ص ٦ الهيئة العامة للكتاب

١٩٨٨

(٢) العمدة ح ١ ص ٨٣ .

(١) أنور المعداوى د / على شلش ص ٩ سلسلة نقاد الأدب ع ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

الحسن والشعور المرفه . فنهر الحس لا يعرف نبعاً أو مصباً أو حدوداً ... لذا يجب سيطرة النزعة الإنسانية على العمل ، وهذا يكون عند الأدباء المجيدين حيث إن " الأدباء المجيدين يستخدمون الأساليب العلمية دون أن يفتنوا إلى ذلك ، الجذب ، المقاومة الفعل ورد الفعل " (٢) والأساليب العلمية مردودها إنساني حينما تقوى النزعة الإنسانية عند الأديب تظهر في عمله .

ولا شك كان لوجود هذه المذاهب والمقاييس الأثر الأقوى على الأدب فوسعت روافده ، وتعددت مجالاته ، وتنوعت عناصره .

٦- مقياس الشرف والعفة : اختلف النقاد في هذا المقياس فمنهم من قال إن المعنى لا يوصف بالشرف

والعفة لذاته ... بل لاستعمال الشاعر فإذا وضع اللفظ موضعه نال استحساناً ، وإذا ما استعمل في غير موضعه استهجن واستقبح ... فالتفاوت بين الشرف والخسة يرجع للاستعمال ... وقال آخرون إن المعاني توسم في نفسها بالشرف والخسة والرفعة والاتحاط وقد تحدث كثير من النقاد عن هذا المقياس وعن تقسيم المعنى .

يقول د / أحمد بدوي يعلق على المعنى ... ولكن التعليق بالشرف والضعفة على ما أورده من أمثلة الشعر تدل على أن المعنى الشريف يطلق على ثلاثة ألوان من الشعر ، هي :

١ . أن يكون المعنى خلقيا

٢ . وأن يكون مثاليا

(٢) التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة د / نبيل راغب ص ١٦
المركز الثقافي الجامعي .

٣. أن يكون متحدثاً عن جماعة

فيصور نوازعها ورغباتها بحيث يشارك الشاعر جماعات كثيرة تتأثر بهذا المعنى . أما إذا كان المعنى فردياً لا يشارك فيه أحد فهو معنى وضيع .

٧- مقياس التناقض : التناقض هو قول المعنى أو الرأى ثم العدول عنه إلى عكسه كأن يتحدث الشعر عن فكرة

الكرم ويحسنها ثم يعود ويقبحها ... فهذه المخالفة فى الروح والاتجاه تزرى بالشعر ويتربص لها النقاد آخذين على يد من جاءت فى شعره

ومما عابوه للتناقض قول زهير بن أبى سلمى :

قف بالديار التى لم يعفها ^(١) القدم بلى ، وغيرها الأرواح والديم ^(٢)

لأنه فى أول البيت تغير الديار بقدم عهدا، ثم أوجب ذلك آخره ^(٣) وقد علق على ذلك د / أحمد بدوى قائلاً :

والبيت عندى لا تناقض فيه إلا من ناحية ظاهر اللفظ فحسب ، أما حقيقة المعنى فلا تناقض فيه ، إذ الشاعر يطلب إلى نفسه أو إلى صاحبه أن يقف بديار صديقه التى كانت مأهولة منذ عهد قريب ، وكانت الحبيبة تقطن بها منذ زمن ليس ببعيد ، وإذا كانت تلك الديار قد تغيرت رسومها ، وانمحت معالمها ، فليس ذلك لطول العهد بساكنيها ، ومرور زمن مديد عليها خالية من أصحابها ولكنها قد تغيرت بفعل الرياح والأمطار ؛ فلا تناقض فى المعنى لأنه لم ينف أنها تغيرت فى الشطر

(١) عفت الريح الأثر : محته .

(٢) الأرواح: جمع ريح . والديم : جمع ديمة ، وهي المطر يدوم فى سكون

(٣) الموشح ص ٤٨ .

الأول ، حتى ينسب إليه التناقض عندما يثبت تغيرها بالرياح والأمطار ، بل نفى أن القدم هو الذي غيرها ، وذلك لا ينفى أن تكون الأمطار والرياح هي التى غيرتها "

ومقياس التناقض مقياس مهم فى الناحية النقدية لأن التجربة الشعرية المسيطرة على الشاعر يجب أن تكون متجانسة متسقة من المبتدي إلى المنتهى فلا يقع فى أثنائها تعارض أو تضارب لأنه إذا وقع دل على خلل ما فيها .

يقول د / أحمد بدوى ^(١) " والشخصية فى الرواية والقصة ينبغى ألا تتناقض أعمالها ؛ لأنها إنما تأتى فى العمل الأدبي لتمثل فكرة معينة ؛ فالبطل الطموح يظل طموحا من أول القصة أو الرواية إلى آخرهما ، ولا بد أن تتجانس أعماله مع هذا الطموح ، حتى تتجسم الفكرة التى يريدتها مؤلف المسرحية أو القصة ؛ فإذا اضطربت أعمال الشخصية ، أو تناقضت ، كان ذلك نقصا فى العمل الأدبي .

وأرى أن هذا رأى يحتاج إلى تفسير .. فإن كان النقاد يطالبون الشاعر بالثبات وعدم تبدل المواقف إلا أنهم لا يستطيعون فعل هذا مع القصص والروائي لأن ظروف الحبكة القصصية وسير أحداث الرواية قد تجعل البطل يبدل من مواقفه لتبين خطئه أو عدم تمشييه مع الواقع ومن ثم يقتضى ذلك تغير الموقف وإلا دل على تخلف القاص وعدم إدراكه بالحبكة القصصية .

وهو يظهر قوة العاطفة الشعرية عند الشاعر الجاهلي الذى لا يتأثر فقط بوجود محبوبته بل بالنظر إلى ديارها وعمل الريح فيها ، فقد

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٣٩٥

كان ينشد المتعة من الحياة على بساطتها " من بين هذه المتع يبرز الحب لونا مشرقاً زاهياً فى لوحة الحياة الجاهلية وهي متعة هيا لها الفراغ الطويل ، وساعدت عليها فرص اللقاء التى كانت تتاح فى المراعى فى أيام الربيع حين يدب الخصب فى كل شيء فى البادية " (١).

٨- مقاييس الصدق والكذب ... الشعر إذا طابق الواقع فقد

تحقق الصدق وإذا خالف صار كذباً ، والحكم الجاهلية الشهيرة لزهير خير مثال على الصدق ... وإن كنت أرى أن الصدق الآن يختلف مفهومه فنحن لا يمكننا أن نأخذ العمل الفني ونطابقه على الواقع لاستحالة ذلك ولاسيما أن العمل الفني يقوم على أسس عنقودية خيالية " ليس العمل صدق للواقع أو تصويراً دقيقاً له أو نقلاً لمظهره أو نواحيه صحيح ، أن الواقع قد يكون المادة التى يتغذى عليها العمل الفني ولكن العمل بعد خلقه لا يحمل آثار ذلك الواقع وإن بقيت بعض هذه الآثار يكون الكل الفني قد ابتلعها ليقطع صلتها نهائياً بالواقع (١) .

ومقياس المثالية والواقعية ، الإتياع والابتداع .

الوضوح والغموض وغيرها من المقاييس الخاصة بالمعنى

وكانت هذه المقاييس هي المحكم فى الشعر وبتوافر مدلولاتها فى العمل الأدبي يصير عملاً إنسانياً راقياً " عد فن الأدب من أهم الفنون الإنسانية إذ به يتحدث عن نفسه ويصور عواطفه وانفعالاته ويبث فيها آلامه وأحلامه كما يصور الطبيعة وأثرها فى نفسه وآمال الجماعة التى

(١) دراسات فى الشعر الجاهلى د / يوسف خليل ص ١١ دار غريب للطباعة والنشر ١٩٨١ .

(١) علم الجمال والنقد الحديث د / عبد العزيز حموده ص ٤٠ .

يعيش فيها وآلامها مستخدماً في العبارة عن أفكاره وعواطفه وانفعالاته
أسمي ما وصلت إليه اللغة التي يعبر بها وفيها خلاصة معالم الحسن
والجمال وأساليبيها المختارة التي أصبحت خصائص مميزة للفن الأدبي
الجميل " . (٢)

٩- **مقاييس أسلوبية :** هو طريقة ونهج الأديب في إبداع وتصوير ما
يريد قوله وما ينبغي بثه من إحساس وشعور بشكل مؤثر
في نفس المتلقي .

وعرفه عبد القاهر بأنه ضرب من النظم والطريقة فيه (١) وابن خلدون
بأنه المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه (٢) .
والأغراض التي لأجلها يكون الكلام ... كثيرة ومتنوعة وبتنوعها تنوع
الأسلوب الذي يبين عنها .

وقد قيل الأسلوب هو الرجل بمعنى أن لكل إنسان أسلوبه الذي يتحدث
به فهو لصيق به والأسلوب مكون من لبنات أو كلمات ضم بعضها إلى
بعض فتظهر الأسلوب وقد وضع النقاد عدة مقاييس للكلمة منها :

(١) **الدقة :** وهى انتخاب الكلمة الدالة على المعنى المقصود
وإصابة المرمي والمعروف أن اللغة العربية غنية
بالمترادفات والألفاظ التي يقوم بعضها مقام بعض والتميز بين الألفاظ
شديد الدقة ... لذا حرصوا على اختيار اللفظة المناسبة " فالعرب هم في

(٢) سوانح وآراء في الأدب والأدباء د/ بدوى أحمد طبانة ص ٢٧٥ الشركة
المصرية العامة للنشر لونغمان ط ١٩٩٧ .

(١) دلائل الأعجاز ص ٣٦١ .

(٢) مقدمه ابن خلدون ص ٥٢٣ .

الذروة بين الأمم لاتدانيهم فى خصائصهم الكريمة وشمائلهم النبيلة أمة من الأمم .

(٢) الإيحاء .. وهو الوقوع على كلمات ذات دلالة مؤثرة تثير فى النفس مشاعر وأحاسيس تداعي عند سماعها مثل كلمة .. الأم .. الحنان .. الرعاية الأمان الحي ... المعلم .. التربية التوجيه الإرشاد التعلم وهكذا ، وقد أدرك النقاد الأول معنى الإيحاء إن لم يقعوا على تلك اللفظة بل هو نفور أو توافق يصاحب المستمع من الأشعار التى يسمعا بعدها فالجاهلي فطن إلى أن أداءه فى التعبير " اللغة " لابد أن تكون غير عادية ولفظه متميزة وعرف أن " لغة الأدب تتميز بنوع آخر من الظلال هو ما نسميه بظلال المعاني ، وظلال المعاني لا تفارقه اللغة أياً ما كان مجال استخدامها ولكنها تكتسب أهمية خاصة فى الأدب لأنها لا تفصح من مستويات باطنه من المعنى تتصل بأسرار عملية الإبداع الفني التى لا يمكن للأديب أن يكون واعياً بها كل الوعي " (١) .

(٣) السهولة : أن تكون الكلمة سهلة خالية من العيوب التى تخل بفصاحتها .. فالذوق العربي ينفر من الكلمات الثقيلة ويميل إلى الألفاظ التى تتسم بالسهولة فى النطق فلا مجال الآن لاستخدام كلمة مستشزرات - اطلخم .

قد قلت لما أطلخم الأمر وانبعث عشواء تالية غبساً دهاريسا

(١) النفس الإنسانية فى أدب الجاحظ سامي الكيالى ص ١١ دار المعارف سلسلة إقرأ عدد ٢٢٦ .

فكلمة أطلخم من الألفاظ المنكره فهي غريبة غليظة فى السمع كريهة على الذوق ، كذلك لفظة دهارس .

غدانره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى فى مثنى ومرسل

وقد ملئت كتب النقد القديم بأمثلة لكلمات سقطت فلم تعد تستعمل لصعوبتها فالكلمة هنا عبارة عن صوت لا معنى كما هو معروف أن " اللغة مثلاً تصبح مجرد أصوات إذا لم يكن لهذه الأصوات معانٍ ودلالات "

لذا ملئت كتب النقد القديم بأمثلة لكلمات سقطت فلم تعد تستعمل لصعوبتها

فيل للسيد الحميرى : مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟؟؟

قال لأن أقول شعراً قريباً من القلوب يلذ من يسمعه خير من أن أقول شيئاً متعقداً تضل فيه الأوهام (١)

كذلك أن تكون الكلمة شاعرية ، مستعملة ، مفيدة ، غير مكررة واضحة . قوية فهذه المقاييس وغيرها هامة فى الأسلوب ويقاس فصاحته بمراعاتها لأن وسيلة الأدب الألفاظ " فهو يستخدم الألفاظ أى الوحدات التى يستخدمها الإنسان فى أغراض أخرى أهمها التواصل والتفاهم والتعبير المباشر عن أحاسيسه (٢) .

بالإضافة لضرورة كون الأسلوب جزل ، أو سهل مزين بالمحسنات البديعية بعيداً عن الحوشية والسوقية .

(١) الأغاني ح ٧ ص ٢٤٨ .

(٢) الأدب وفنونه ص ٢٥ .

المبحث الثالث

المذاهب النقدية الحديثة

الحياة الإنسانية كتلة تضم العديد من العناصر التي يتدخل في إيجادها شيات متنوعة مادية روحية وهي تتسم بالتغير المستمر فلا بقاء ولا ديمومة " من شأن الحياة منذ وجدت على سطح هذا الكوكب التغير المستمر ، غير أن الأجيال الحاضرة تشهد حقبة لم تعرف البشرية مثلها على مدي تاريخها المكتوب فالمستقبل الذي تحدث عند اليوم قد يكون مختلفاً عن ماضينا مثل اختلاف حياة سكان القرى عن سكان الكهوف ^(١) وهذا التغير والتطوير صاحب الحياة في شعبها المختلفة فقد كانت الأحداث متلاحقة ما بين حرب وسلم ، تبادل الآراء في ظل صداقة وحب ، اقتناصها في إطار كره استعماري ، أو غزوى وقد واكب الفكر الأدبي هذه الأحداث المتعاقبة وشارك فيها مشاركة صميمة فنزل الشعراء إلى أرض المعركة يقاتلون ويتحمسون ، وتفجر تيار القصة والرواية المستحدث في الأدب العربي وانهمر من المسرح والبحث والتراجم الذاتية والغيرية ودعوات الأدب للحياة واشتجر الخلاف حول معارك الفصحى والعامية وحول قضية القديم والجديد وحول إقليمية الإبداع وحول استشراف التراث واستشراف الواقع الحضاري ... إلى غير ذلك كله من عناصر الصراع الذي غطى الساحة الأدبية كلها على مستوي الشعر والنثر .

(١) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين د / شكري عياد

وعلى مستوى العموم والخصوص حتى امتد هذا الصراع إلى مناطق الحساسية الدينية فاشتعل من حوله لهب ما يزال دخانه يثور في سماء حياتنا الفكرية حتى اليوم " (١)

وينحى لهذا التنوع والأشكال المتعددة للأداء ظهرت مدارس ومذاهب من كلاسيكية ، رومانسية ، واقعية ثم رمزية وسريالية " فلم يكن الأدب على اختلاف مذاهبه " إلا ملماً بالمستقبل حملته على كواهلهم إناس أحرار تحلو بالشجاعة والأمل " (٢)

وانفتح العالم على بعضه البعض وتلاقى الغرب بأجزائه بالشرق ودوله ولا شك تأثر الأدب تأثراً كبيراً بكل العوامل تلك وصار الأدب العالمي خليطاً من كل الاتجاهات المتولدة في مختلف البلدان (الأدب العالمي المعاصر قد تعددت فيه الاتجاهات الواقعية ما بين واقعية غربية على طريقة بلزاك ، ثم الواقعية الوجودية الاشتراكية على اختلافها ثم الواقعية النفسية التي تمثلت في المذهب التعبيري الألماني وأفادت من اللاشعور الفرويدي " (٣) ولا شك كان لوجود هذه المذاهب الأثر الأقوى على الأدب فوسعت روافده ، وتعددت مجالاته ، وتنوعت عناصره .

(١) عن الأدب العربي المعاصر مدارسه وإعلامه د / محمد أحمد العزب ص ١٦ - ٢٠٠٢ .

(٢) المذاهب الأدبية والنقدية ص ٣٢٣ .

(٣) في النقد التطبيقي والمقارن د/محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر ص ٦

المبحث الرابع

أوجه التلاقى بين الأسس النقدية فى التراث العربى الإسلامى والمذاهب النقدية الحديثة

نقدنا العربى يمتد بجذوره إلى عصور سحيقة لا نستطيع أن نضع أيدينا تحديداً عليها ، لكن يكفينا أن الشعراء النوابغ الأول كانوا نقاداً ينظرون فى أعمالهم الفنية بعد الأخرى ، ولا يظهرونها إلا إذا رضوا عنها قلباً وقالباً لمعرفةهم بخطورة الكلمة وسيورتها على إيغاله فى القدم وتقدمه مع الزمن فهو يبدأ من العصر الجاهلى ثم الإسلامى .. الأموى ، العباسى ، العصر المملوكى ٦٥٦هـ — ٩٢٣هـ العصر العثمانى ٩٢٣ وينتهى ١٢١٣ والعصر الحديث يبدأ ١٢١٣ إلى وقتنا هذا أو يطلق عليه - أحيانا - عصر النهضة شاع فيه النظرة القياسية أي قياس اللاحق بالسابق ومعرفة نسبة التزام اللاحقين بالتقاليد المتوارثة ... أجادوا فى إطارها أم انسلخوا عنها كلية ، وهذه الأنماط الأدبية تواجدت على مر العصور وفى كل عصر أدبى وجد الشاعر الملتزم ... والشاعر المجدد، واستتبع النقد الشعر يميظ اللثام عن هذا وذاك يبين الملتزم ودرجته من الإجابة والمنسلخ ودرجته من الإجابة .

والنقد القديم .. حددت طرائقه ومنهجيته فسيطر على الساحة وكان للنقد اللغوى النصيب الأكبر من تركيز النقد عليه فاللغة هى الشكل المرئى للفكر ، لذا ثبتت على مظهرها وتغيير معناها إحياء وتلميحا أو تصريحاً ومباشرة .

يقول د شكري عياد : " إن ثمة علاقة متينة بين اللغة والمقاصد التي تؤديها اللغة ومن هنا ينشأ التوتر بين ثبات اللغة وتغير المقاصد التي تؤدي بها (١)

وهذا يظهر جلياً في الأدب والفن أحد مظاهر الإنسانية والآراء النقدية القديمة بشكل عام يسيطر علي بعضها النظرة العجلى المقتضبة ، وليدة الارتجال والنظرة السريعة التي قد تكون تعليقاً على المعنى ، الخيال ، الأسلوب ، اللغة خاضعاً في ذلك للمنهج الذوقي الذي قال عنه د / محمد مندور إنه عابه أمران (عدم وجود منهج وعدم التعليل المفصل وهذان العيبان واضحان في الكثير من الأحكام التقليدية المروية في كتب الأدب فهي لا تستند إلى تحليل للنصوص أو إلى نظر شامل فيما قال هذا الشاعر أو ذاك) .

وبتوالي العصور تطور الأداء الشعري والنقدي واختلفت نظرة النقاد فكما ساد لفترة إعلاء القيم القديمة والموروثات الشعرية ، رأينا نخبة من النقاد تتلفت تلقاء الثقافة الحديثة ويحكمون بمقياسها على أساس أنها تجلي الجودة والعمق وتبرز سعة الاطلاع وتنوع المصادر وتعدد الزوايا ود/ بدوى طبانة يري أن قدامة ابن جعفر كان خير مثال للنقاد الملم بشتى الثقافات (١) .

وهذه الثقافات المختلفة أتمت عمله ووسمته بالبراعة فقد " تركزت في ذهنه عقليات مختلفة وتأثر بآثار متعددة مزجها بشخصيته

(١) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغرب د شكري عياد عالم المعرفة ص ٢٠٦ .

(١) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي د/بدوى طبانه ص ٢٢ مطبعة مخيمر ٥٤

المستقلة وفكره الحر ، وصاغ من أولئك فكرة جديدة شرعت حياة النقد الأدبي والبلاغة العربية شرعاً جديداً .

... وبتوالي العصور قعدت القواعد ونظمت الفنون والآداب بل المعارف الإنسانية كافة صار لها قواعد تيسر الضبط ، وتعين على التطور ، وتظهر الإجابة .

أما الأدب : فقد صار فى خطه التاريخي بفنونه المتنوعة التى يحكمها نظرة ذوقية خالصة ، وفى العصر الجاهلي يبرز الفخر الممقوت ، والهجاء المقذع ، والغزل الفاحش ، ووقف النقد وراء تلك الأغراض ، يعلى عليه الهجاء والفخر المعتدلين ، والغزل العفيف .

وفى العصر الإسلامي ... نرى النقد القائم على الحمية والتحيز القبلى ساد لفترات طوال ، وحينما جاء الإسلام دعا إلى لم الشتيت المتنافر المتقاتل من القبائل إلى التآلف والترابط ، فاستجاب المهتدون ، وبقي فلول الضالين متشبثين بالعنصرية القبلية المتداعية حتى كان القول الفصل بنزول القرآن الكريم وقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) فنزول الآية هذه فتحت قلوباً صماً وأعيناً عمياً ، أخذت بيد النقد ووجهته الوجهة المنوطة به مقتفياً آثار الأدب بعد أن كان الأدباء يهيمون قائلين ما لا يفعلون ، يعتنقون الأدب الوهمى الذي لا يروى ظماً ولا ينقع غلة .

وبين الأدباء المؤمنين بالدعوة ومبادئها التطويرية من تخلص الإنسان من أدرانته وسمو الروح وإعلائها ، ومن ثم نبذ ما ساء من العادات والتقاليد " كان من أثر ذلك التوجيه أن انتظم الأدب العربي فى نهضة تقدمية كبرى تحول الشعر فيها من تمجيد الغارات والصفات الحربية ، ومعتقدات الفروسية القبلية إلى تطوير الحياة الجديدة

المزدهرة ، وإبراز نواحي نشاطها ومواطن جمالها ، وإلى تثبيت
المعتقدات والمثل الفكرية النامية ودعم الوعي الناهض ، وتقوية الأسس
والروابط التي يقوم عليها المجتمع الحديث " (١)

ومع التطور المعيشى والرغد الحياتى الذي صاحب الفتوحات
الإسلامية .. انتقل الأدب إلى طور التصوير المزين فقد صور حياة
الترف والبزخ التى يحياها عليّة القوم وزينها وجملها ، فجعل الخائضين
فيها يزدادون استمتاعاً والمحرومين منها يتطلعون إليها " وأخذ الأدب
ينحرف شيئاً فشيئاً عن الطريق السليم ويشجع مجون عصره بتصويره
فى صورة متألفة . فكان بذلك عاملاً من العوامل التى قوضت أركان
الدولة الإسلامية " (١)

ولكن ما موقف النقد فى تلك الحقبة أقوم الأدب ... ؟ هل
قبله كما هو ... ؟ أعدله أم رفضه ... ؟ يقول محمد الشوباشى عن هذا
التطور المتلاحق " جرى ذلك دون أن يتاح للحركة الأدبية نقد يلم بها
من أطرافها ويدركها على حقيقتها ويكشف اتجاهاتها العامة ويحاول أن
يردها إلى الاتجاه الصحيح بتشجيع عناصرها الهدامة " (٢)

النقد والمذاهب المختلفة : صاحب الأدب النقد فى مراحل
المختلفة وتقلب معه فى المذاهب المتعددة فى البدء سيطرت الكلاسيكية
... فنظر للنقد بمنظار التطابق مدي مطابقة الجديد للقديم فلا إبداع إلا

(١) الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الأغريقية إلى الواقعية الاشتراكية محمد

مفيد الشوباشى ص ١٧٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠

(١) الأدب ومذاهبه ص ١٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٣ .

فى القديم لذا يجب أن يحاكي الجديد القديم وأن توضع أعمال هوميروس ، وفرجيل ، نصب أعين المبدعين اقتداءً واحتذاءً وحينما أطلت الرومانسية طالبت الناقد بأن يذلف إلى محراب العمل الفني مجرداً بلا أحكام مسبقة بل يحكم على جودته أو رداءته من خلال القيم الفنية المحتواه ، والتي تتفق مع مبادئهم دون النظر إلى اعتبارات أو قيم خارجية عن النص بل إن النقد بدأ يتبع مضطراً العواطف الإنسانية فى ترتيب نشوئها وتسلسلها فأنت ترى الشيء فيعجبك أو لا يعجبك ، فإن أعجبك فهو يستدعي إعجابك فى صورة معينة " (١) ثم حدث فصل عميق بين النقد الكلاسيكي والرومانتيكى حينما نادى الناقد Hurd بتحرير العمل الأدبي الرومانتيكى من قواعد الوحدة الكلاسيكية (٢) وظهر نقاد أكدوا على التجربة الفنية فقال ورد زورث أنها فيض تلقائي للعواطف القوية ... ولكن على أن يثير الشاعر آثار الانفعال فى حال طمأنينة وهدوء .

التأثير والتأثر

العالم على اتساعه وضمه لعناصر متعددة أمرنا الإسلام بالتفاعل معه " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين " (٣) وعندما يحدث التفاعل بين الشعوب يأخذ ويعطى بعضها بعضاً .

" وقد نهلت الشعوب الغربية من الحضارات الإسلامية عندما كانت فى أوج عظمتها سواء فى شكل بعثات كانت ترسلها إلى الأندلس

(١) النقد الأدبي أحمد أمين ص ٣١٣ - ٢ فى ١٩٥٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤ .

(٣) سورة الممتحنة

أو بغداد أو غيرهما من الحواضر الإسلامية أو فى شكل وفود دبلوماسية وزيارات علميه أو فى شكل ترجمه للكتب العربيه إلى اللاتينيه ^(١).

والفنون من أكثر ضروب النشاط الإنسانى سرعة فى النقل بين البشر منذ القدم وكان فى البدايه له غاية نفعيه، ولم يك له هدف روحى جمالى كما هو موجود الآن ، فالغاية الجمالية الموجودة حالياً للفن مرت بمراحل وأطوار متعددة حتى وصلت وتبلورت فى شكلها الحالى ، يقول فيشر المؤرخ الاجتماعى للغة " إن الوظيفة الأساسية للغة كانت منح الإنسان القوة إزاء الطبيعة ، أو إزاء رفيق الجنس ، أو إزاء الواقع ، أو قوة لدعم الجماعة الإنسانية ، فلم يكن الفن فى فجر الإنسانية بالجمال غير أوهى الصلات ولم يكن بالنوازع الاستطيقية صلة على الإطلاق بل كانت أداة أو سلاحاً فى يد الجماعة الإنسانية فى صراعها للبقاء " ^(٢)

فالفنون تتناقل منذ القدم بين الجنس البشرى ، لكن تطور وسائل النقل وحدائته هو الجديد فى العصر الحديث . والنقل قرينة التأثير فلا ينقل الإنسان إلا ما تأثر به ، والتأثير معناه غالباً التأويل يقول بول فاليرى " لا يوجد شئ أشد ابتكاراً ولا أشد شخصية من أن يتغذى الإنسان من الآخرين ، ولكن ينبغى هضم هذا الغذاء فالحق أن الأسد مكون من كباش متحوله " ^(٣) .

(١) الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب د / محمد محمد أبو ليلة ص ٩ ح ٧ .

(٢) الفن الإنسانى د / عز الدين إسماعيل ص ٢١ مكتبة الأسرة ٢٠٠٣

(٣) الأدب المقارن م . ن جويارت د/محمد غلاب ، راجعه د/عبد الحليم محمود نشرته لجنة البيان العربى .

التأثر والتأثير يتبادلله الناس على اختلاف جنسياتهم يقوى الحضارة الإنسانية ، ويوطد روابط البشرية ، فليس هناك شيء أقدر على جمع أشتات هذا العالم ولم شمله والتوحيد بين أجناسه وشعوبه من انتشار الثقافات والحضارات فهي الشيء الوحيد الذي يهب نفسه للتاريخ وبه تتقدم الأمم وترتقي " إن الحضارة الإنسانية لا تستقيم إلا إذا سارت على قدميها الاثنيتين : - العلم ... والأدب .

هذا يهذب وذاك يثرى ، هذا لأن المعرفة العلمية الحديثة اقتربت بنظرة إلى العالم خالية من كل تأمل إنساني وخيال وجداني^(٢)

والتأثر لا يعنى مجرد النقل وإلا جاء المنقول بارداً ساقعاً ، بل يجب الانفعال والتأثر به ، لكى يحمل نفس الشحنات العاطفية الموجودة فى العمل المتأثر به وهذا فى الشعر أبين ، حيث تتجانس التجربة الشعورية مكونة "حالة استيقاظ للوعى تكسبه حدة نادرة أو قوة على تجميع وتركيز وبلورة مكونات التجربة فى بؤرة واحدة هى العمل الفنى " ^(١) فالفنان يتأثر وينفعل فتخرج خفايا نفسه ومكنون ذاته تعبيراً رائعاً ، وكلمة تعبير تعنى أنه يجعلها تعبر نفسه إلى الخارج نقلها إلى حيث يستطيع غيره أن يراها أو يسمعها وذلك بأن يودعها عملاً مجسداً أى محسوساً أى يقع فى نطاق الحواس الخمس " ^(٢) لكى يستطيع تبيانه والتأثر به ثم الحكم عليه ، وإلا لو ظل قابعاً داخل نفسه

^(٢) التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة د / نبيل راغب المركز الثقافي الجامعي ١٩٨٠ .

^(١) الأدب وفنونه د / محمد عناني ص ١٥ .

^(٢) المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

لكان مجرد ترهات وتهويمات لا نعرف لها مضموناً لعدم ظهورها فى شكل واضح .

ولاشك أن التطورات المتلاحقة فى العلوم والفنون قد أثرت فى الأدب " وفى إدراك صلته بالإنسان وموقفه منه حيث كثرت الوسائل النفسية ، وتعددت مناهج التصوير الجمالية ، وتلاقت وتعددت حتى لم يعد من المستطاع حصرها فى إطار مذهب محدد كما كانت عليه من قبل " (٣) ولتنوعها وتعددتها تعددت المسميات .

والأهم كافة فى محاولة بنائها لمجدها وإبراز شخصيتها تساهم من حيث تدرى أو لا تدرى فى بناء الحضارة الإنسانية .

والتاريخ يرشدنا إلى أمم احتلت الصدارة بالتأثير وتمكنت من النمو والتطور بالتأثر الرشيد بالآداب الأخرى ، بعد الاطلاع عليها فقد نهض الأدب اللاتينى باتصاله بالأدب اليونانى وقاد الأدب الإيطالى أو الإسبانى الآداب الأوربية الأخرى فى عصر النهضة ، وساد الأدب الفرنسى فى العصر الكلاسيكى ، وكانت الصدارة للأدب الإنجليزى والألمانى ثم الفرنسى بين الآداب الأوربية فى أواخر القرن الثامن عشر ثم انتقلت الصدارة إلى الأدب الفرنسى من جديد فى القرن التاسع عشر وفى العصور الحديثة تعاونت الآداب الكبرى كلها فى تبادل ظواهر التأثير والتأثر ، حتى لم يعد فى العالم كاتب أو ناقد ذو مكانة لا يعرف

(٣) فى النقد التطبيقي والمقارن د / محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر ص

عن الآداب الأخرى فى ميدان تخصصه ما يستطيع به أن ينتج أدباً أو نقداً يعتد بهما " (١)

إن التلاقح والأخذ والعطاء بين الآداب سمة أساسية تعتمد على ركيزتين : بلورة الآدب القومى ... وظهور ملامحه وتسيدها على الساحة وذلك حين يتأثر بالآداب الأخرى - أخذاً - حين يمد الآداب الأخرى ويغذيها بخلاصة ما توصل إليه - معطياً .

ومن ثم يشكل حلقة فى سلسلة الآداب الإنسانية وهذه الحركة " الدائبة المزدوجة طابع كل أدب قومى ناهض وهى محور كل تجديد أتيح له أن يثرى الآداب جميعاً " (١)

وليس معنى تلاقى الآداب وأخذ بعضها من بعض أن الأدب الآخذ يتخلى عن سماته المميزة وخصائصه التى تفرده عن غيره بل قد يأخذ الأدب من الثقافات المختلفة فيستوعبها ويهضمها ثم يفرز عليها خصائصه الذاتية وصفاته النفسية والإقليمية والجنسية المشبعة بالتجربة الإنسانية فيخرج أدباً أصيلاً لا شائبة لدخيل فيه مما يثرى حركة الإبداع الإنسانى ويترك علامة مميزة ولا يستطيع كل أدب أن يعطى فى كل الأوقات بل لابد أن يكون الأدب قد بلغ ذروة الإبداع والإجادة حتى يؤثر فى الآداب الإنسانية بما يلفته من أنظار ويستثير من إهتمام يقول د/ غنيمي هلال " ولكل أدب عصور نهضاته التى فيها اسهم فى تقدم الآداب العالمية ووجد سبيله إلى صنوف من التأثير تتجلى فيها عبقرية أهله ،

(١) دور الأدب فى توجيه دراسات الأدب العربى المعاصر د/ محمد غنيمي

هلال دار نهضة مصر ص ٥ - ١٩٥٦ .

(١) المرجع السابق ص ٣ .

وصدارتهم الفكرية وجلاتها فى الدراسات المقارنة خير سبيل لتغذية المشاعر القومية " (٢) .

بعد التلاقى والتأثير والتأثر تتوجه حركات الإبداع توجيهاً جديداً وتطرق ميادين لم تدلفها قبلاً ، وتشغل حيزاً لم تكن تستطيع اجتيازه .
وإذا كان الثراء كله فى الاطلاع على الآداب المغايرة ، وإمداد لغتنا بفكر جديد إلا أن ذلك ليس مسوغاً للانكباب على الأفكار الغربية ، وتناسى آدابنا العربية التى تشكل هويتنا وتجسم وجودنا . ففى ثقافتنا العربية الثرية الغناء عن الثقافات الأجنبية ، فالمعروف أن العرب لهم باع طويل فى كل الميادين وشتى النواحي " وهذا ينبغى أن يعين أولئك الذين يلمون بأطراف من ثقافة أجنبية يأخذونها على علاتها ويروجون لها فى بيناتهم العربية من غير وعى ومن غير تمحيص ، ويفضلونها دائماً على المأثور الصالح من ثمرات التفكير الأصيل فى أمتهن ، ثم تكون فوضى فكرية وصراعاً لا يجدي " (١) .

حينما تتلاقى الأفكار ، وتتلقى الرؤى والتطورات ، يجب أن تقع فى اعتبارنا وعاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا التى تتباين فى بعض خطوطها عن خطوط ثقافات الأمم الأخرى وتختلف عنها بشكل كبير . فلأمتنا ثقافتها وسياستها وفكرها ، والانكباب على الثقافات الأخرى ، والانسلاخ وعدم مراعاة ثقافتنا يزعزع الثقة فى تاريخنا الملىء بالإجادة ، وآثارنا التى تنطق بالتجويد والحق غالباً وراء النظر فى أدبنا القديم والاطلاع

(٢) دور الأدب المقارن ص ٣ .

(١) سوانح وآراء فى الأدب والأدباء د / بدوى طبانه ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

على الآداب الحديثة والرغبة فى الإجابة " الموجه للسلوك إنما هو إرادة التفوق " والتميز فى إخراج العمل الفنى ونحن حينما نتأثر بالآداب الأخرى والأفكار المغايرة يجب ألا تغيب عنا خلفيتنا الثقافية وهويتنا العربية المسلمة فنتحمس فقط للفكرة " الطبيعة الأصلية الملائمة لعقلية الأمة وشخصيتها التاريخية المستقلة فى مجالات الأدب والفنون على الأخص " (١) على حد قول الدكتور بدوى طبانه (٢) .

الواقعية الفنية الإجتماعية

إن الأفاق مفتوحة أمام الكتاب ليخلقوا فى أى اتجاه ويرتادوا أى طريق ولا نطالبه بالمماثلة أو مواكبة الواقع " ويجب ألا ننسى حق الخلق الأدبى فى إعطائنا صورة أثرى " (٣) .

وكيف نطالب الفن بأن يرينا الحياة التى تطالعنا وتحيط بنا من كل جانب بما فيها من أشياء نقبلها ونرتضيها وأشياء أخرى نرفضها ونستاء منها " إن ظواهر الحياة تبدو متناقضة يشوبها العيب والنقص ولكن هذه النقائص لا تبقى على حالها ولكنها تتصارع على قوى الطبيعة الغاشمة وقوى الشر الطائشة والقبح يطالع الإنسان من كل ناحية فى حياته ولكن الإنسان يضيق به ويتحایل كيما يتخلص منه ،

(١) علم النفس والأدب د / سامى الدروبي ص ١١٤ - ١٩٨١ .

(٢) سوانح وآراء ص ١٥١ .

(٣) الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الأغريقية إلى الواقعية الاشتراكية محمد مفيد الشوباشى دار الكتاب العرب - المقدمة .

ويحيط حياته بكل ما هو جميل وبالتالي لا نستطيع أن نلزم الأديب ونطالبه بتجسيم هذا القبح وذلك النقص في أعماله المختلفة .

" فالعمل الفني ليس انعكاساً وإنما هو إضافة حقيقية للظروف الاجتماعية ومن ثم يسهم في تكوين المجتمع وبعبارة أخرى إننا نتحدث عن المنابع الاجتماعية للأدب ، ومن باب أولى أن نتحدث عن المنابع الأدبية للمجتمع وظروفه " .

فهى التى تعيننا على فهم الحياة وتحملها وتحسينها ... أما إذا طالبنا الفن بمطابقة الحياة وتصويرها فإننا نحصر الأديب ونضيق واسعاً " العمل الأدبى يشب عن طوق السياق الإجتماعى الخاص ويعلو عليه وينفك عن إساره " (١)

وقد شاع هذا المصطلح فى الآونة الأخيرة تحت مسمى الالتزام والالتزام ، هل على الأديب تجسيد مشاكل قومه ومجتمعه ، أم له الحرية فى التمسك بواقعية الفن وخياله أيهما أفضل الإلتخراط فى الواقع حزناً وفرحاً ، بأساً وأملأ ، إنجازاً وإحباطاً ، أم الانسلاخ منه والبعد عنه واختراق حواجز الأرض والانطلاق فى آفاق السماء انتظاراً للإلهام وترقباً للحظة الوحي .

أرى أن الأديب الحق قد بلغ درجة من الرقى الفكرى والإيحاء اللفظى يجعله قادراً على إيصال رسالته الصادقة للمتلقى وهى إحداث التواصل فما الفن إلا خروج أثر ما - مقروء أو مسموع أو مرئى - من نفس متأثرة إلى نفس ينشد منها التأثير ومتى وصل الأديب إلى غايته وأدى مهمته يكون قد حقق أمله وأنجز بغيته ،

(١) الأدب وفنونه د / محمد عنانى ط ١ - ١٩٩١ ص ٩٧

ويكون بذلك قد جعل الفن للحياة فلا فن للموتى ولكنه تناول الفن من وجهة نظره المناسبة لذاته .

يقول د / محمد فتوح الله ... " ولا ريب أن انسحاب الأديب الشاعر من الحياة العامة كفيل أن يحرمه من ذلك الثراء الوجداني والفكري الذي ينشأ من احتكاكه بالواقع وتفاعله معه بناءً ونقداً كما أنه يخلق في فنه وهج الشعور بالآلام الإنسانية وأشواقها الخالدة وبما أن الفن حوار مثمر بين المبدع والمتلقي ، فقد يؤدي دوران الأول في نطاق نفايات الفن المجردة إلى جفوة متبادلة بين كلا الطرفين ، وفصام يحس إزاءه الشاعر بأن عمله لا يلقى من الاستجابة ما كان يتوقع وبأن جهده لا يقابل بسوى النكران ، ويفضى هذا الاحساس عادة إلى مزيد من اليأس والمرارة والسلبية ويقضى على طموح المبدع ويطفئ الجذوة المقدسة في نفسه " (١)

مظاهر التأثير والتأثير النقد الغربي ومظاهره والنقد العربي الحديث

حاكي النقد الغربي النقد العربي في بداية العصر الحديث فإذا كان النقاد العرب نظروا إلى النماذج القديمة المحتذية فإذا وافقتها الأعمال الجديدة حكموا لها بالبراعة والجودة ، وإذا خالفتها فهي بليدة رديئة ففي الغرب اقتفوا أثر أرسطو وطبقوا مبادئه النقدية (١)

ولم تقف الصرامة النقدية على اتباع خطوات أرسطو فقط بل تشعبت وصار الأديب حتماً عليه أن ينتهج منهج أحد الأدباء القدامى

(١) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر د / محمد فتوح الله ص ٢١ دار المعارف ط ١ - ١٩٧٨ .

(١) في المسرح ضرورة توافر الوحدات الثلاثة وكان ذلك سبب رفض مسرحية السيد لكورنى وحينما رفع الأمر القضاء أيد الحكم وجه نظر النقاد بضرورة التزام مبادئ أرسطو ووجه له اللوم .

ويتلمذ على يديه فلا يحكم له إلا إذا " تشرب ذوقه ، واحتذى أسلوبه
فى التعبير ، وراعى قواعد الفن التى يراعيها " (٢)
فإن لم يفعل عاش ومات مغموراً مقهوراً .

وكما بدأ الأدباء العرب يتفكرون من نهج القدامى بومضات فردية
سرعان ما انتظمت فى مذاهب ، ثم فى مدارس أدبية لها أصولها
وقواعدها كالمدرسة الرومانسية ، والديوان وأبوللو ، كذلك فى الغرب
فبمساعدة النهضة العلمية والتطور الصناعى والتجارى قويت النزعة
الفكرية الرأىة إلى الإبداع الحر بعد السنين العجاف ، متبعين منهج الفن
الإغريقى الذى لم يعد ملائماً لمنهج الحياة المتطور : فكراً ، واقتصادياً
، صناعياً ، وتجارياً ، فانعكس كل ذلك على الإنسان الذى عبر عنه
الأديب وتوجه بفنه له .

وكما فعل النقاد العرب مثل محمد مندور ، لويس عوض ، ومن
قبلهم العقاد والمازنى وشكرى ، ورشاد رشدى الذى أكد " أن العمل
الفنى يجب أن يرى من الداخل من داخله هو " (١) .

فقد دعا إلى عدم خلق الإبداع بالقواعد والأصول المتوارثة
والتركيز على الإبداع الجديد بقواعده الجديدة ، المتولدة منه ، وهذا
على النهج نفسه ينادى به النقاد الغربيون " فقد أشاد سان بييف فى
فرنسا ... بالعبريات الخلاقة وشجعها على الابتكار والتجديد ، وفى
ألمانيا حمل ليسنج بمنطقه الجبار على قيود الأدب العتيقة فحطمها ،
وكذلك استطاع أرنولت وهانت فى إنجلترا ، ولويل فى أمريكا أن يكشفوا

(٢) الأدب ومذاهبه ص ١٧٤

(١) المدخل إلى النقد رشاد رشدى ص ٩١ مكتبة الأنجلو ١٩٨٤ .

مواطن الجمال فى آيات الأدب الإنجليزى فإذا الأديب الرومانسى البارغ يستفيد من تقدم عصره الحضارى ومن معاونة النقد له فيبلغ غاية التفتح والتألق " (٢)

وذلك لأهمية الأدب وشغله لمواطن كثيرة من عقل الإنسان فالأدب نوع من الفن لا يستطيع الإنسان العيش بدونه كما قال أرنست فشر .

" إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان " (١)
فالفن بفروعه لازم الإنسان نوماً ويقظة ، رغداً وجفافاً ومع التطور وتعاقب العصور اختلفت الحدود لاختلاف المدارس والأديب له أن يختار من الاتجاهات العديدة المتنفة حوله الاتجاه الذي يتوافق مع ميوله ورغباته حسب العمل والشعور الذي يحسه تجاهها فمثلاً " يستدل الأديب الرومانى " بالنظرة العقلية المتزنة فى الأدب الكلاسيكى والنظرة الناقدة الراصدة فى الأدب الواقعى .

ذلك الجيشان العاطفى الذي يزخر به وجدانه المبلبل أمام ذلك العالم المتغير فى الخارج المشدود فى وجدانه بين التراث والعصرية ، والماضى والحاضر ، ويتجاوز هذا الوجدان فى التعبير الفنى منطق العقل فيقيم علاقات جديدة بين الأشياء عن طريق الخيال البعيد والاستخدام الجديد لألفاظ اللغة وأساليبها " (٢)

(٢) الأدب ومذاهبه ص ١٧٥ .

(١) الفن والإنسان د / عز الدين إسماعيل مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ ص ٧

(٢) الاتجاه الوجداني فى الشعر العربى المعاصر د / عبد القادر القط ص ١٢

دار الشباب ١٩٩٣ .

وبذلك التقى النقد العربى مع النقد الغربى ، فى استجابتهما للحياة ، وتأييدهما للأدب المتحدث عن العصر ، واحتفائهما بالأديب المهموم بقضايا مجتمعه المعبر عنها .

لذا فى بداية العصر الحديث برز النقاد الروس المؤيدون للأدب المصور لحياة الشعب الروسى الآن تحت نير الاستغلال والاضطهاد : ماصاً لدمه شافطاً لنخاعه " وفطن النقاد الواعون إلى هذا اللون الجديد من الأدب المناهض للظلم ، والمحقق للحق ، فسارعوا إلى تأييده فى نضاله وتمكينه من تحقيق أهدافه " (١) .

وظهر النقاد المشهورون بيلنسكى ، تشير نيشفسكى ، دوبروليوبوف ، وإن د / محمد غنيمى هلال يقر أن النقاد الجدد أوجدوا أوجه التقاء للفن العربى الحديث ، مع الفن الغربى فاتفق الروى وتسليط الأضواء على الحياة المعاشة قاسم مشترك بينهما مما أصبغ على الأدب العربى الخصال الحسان .

" فالنقاد المحدثون اشتركوا بأقلامهم فى جلاء الوعى الأدبى وبيان وجهته . وجعلوا من النقد جنساً أدبياً جديداً لا غنى عنه فى الوقوف على قيمة الأدب وتوضيح وجهاته الفنية وتقويمه تقويماً حديث النظر عميق الدلالة مرتبطاً بفلسفات الفن كما اتضحت فى الآداب والفلسفات العالمية " (٢) .

وقد التقى النقد العربى بالنقد الغربى ابتداءً فى الاحتفاء بالآثار القديمة ، واقتفاء آثارها ثم صاحبه فى التطور - وإن تخلف عنه

(١) المرجع السابق ص ١٧٥ .

(٢) النقد الأدبى الحديث د / محمد غنيمى هلال ص ٥ دار نهضة مصر .

خطوات - حتى صار الاهتمام بالعمل المبدع على اختلاف مراحل تطوره نتيجة لتدخل التيارات العالمية وتلاحقها .

" وبمثل هذه التيارات العالمية فى الأدب ونقده نهضت الآداب المختلفة فقد أتى عصر النهضة فى أوربا ثمّاره لرجوعه إلى الأدب القديم اليونانى ، الرومانى ، وإلى مبادئ النقد التى كانت سائدة فيهما . ونهض الأدب العربى - كما تقدم النقد فيه نسبياً فى العصر العباسى - لاتصاله بالأدب الفارسى وتأثره بعض التأثير بالفلسفة اليونانية ونهضتنا الأدبية الحديثة ترجع فى أصولها إلى الأدب الغربى " (١) .

ليس النقد الغربى فقط بل ما توارثناه من قواعد وأصول النقد الأدبى، فقد أخذت الأمم من بعضها البعض وصعب رد كل رأى إلى منابعه الأولى . فالآراء يضاف لها ويحذف منها كل يضع بصمته ويضفي وجهة نظره .

وفى العصر الحديث : زاد الاتصال بالغرب على مختلف المستويات وكان من الطبيعى أن تتلاقح الثقافات وتتبادل التأثير والتأثر ... تفوقنا فأعطينا ... ثم تفوقوا فأغدقوا علينا بعد حملهم شعلة التقدم والرقى ولم تخب جذوتها إلى الآن بل أخذت أشكالاً متعددة .

فالكلاسيكية ... سارت على الأسس العقلية التى وضعها أرسطو وعمقها وأفاض فى شرحها ديكارت وبسكال ورفع رايتهما الاروستقراطيون ... وقد التقت مع النقد الجاهلى والعباسى فى بعض أوجهه من الاهتمام باللفظ ... والأسلوب واقتفاء أثر القدامى ولا ننسى أن كثيراً من النقاد والشعراء حينما يستمعون إلى قصيدة وينموا إلى

(١) النقد الأدبى الحديث ص ٢٠ .

علمهم قدمها فيهشون لها ويقبلون عليها ... فإذا ما تبين لهم حدوثها
أو أنها ليلتها أمروا بتخريق الرقاع .

الرومانسية ... التفت مع بعض ومضات النقد العربي فسكينة
بنت الحسين كانت تعلو من شأن الشعر الحاوى للمشاعر الرقيق
الحاشية ، المتدفق المعنى ، وكانت تعيب الصلابة والجمود فى الأسلوب
.... بعد سيادة الرومانتيكية زمناً طويلاً ظهر تيار معارض لا يتزعمه
فرد وإنما يحفر مجراه ويعمقه ويوسعه ظروف اجتماعية وسياسية
واقتصادية ... فظهرت الفلسفة العاطفية التى قوضت البنيان الكلاسيكي.
واتخذ النقد مأخذاً عملياً حيث ينظر فى العمل المنقود بما يحويه
من قيم شعورية ، وخلجات نفسية وتركوا للمبدع مطلق الحرية فى
ارتداد الأفيانين الشعورية ورفع رايتها الطبقة الوسطى
" البرجوازيون " وهى كنوع من الحركات المعارضة .

حركة المعارضة : هى تطور طبيعى لازم لا ينشأ من فعل فرد
معين وإنما هو نتيجة اضطرارية لظروف اجتماعية واقتصادية كثيرة
تعمل كلها من وراء أستار على حفر المجرى الذى سيجرى فى تيار
المعارضة ^(١)

الخيال : اهتم القدامى بالخيال وأولوه أهمية خاصة وقديماً قالوا
المستحيلات فى الدنيا ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفى ... وفى
العصر الحديث وفى ظل الترابط بين أدبنا العربى ونقده ، والأدب الغربى
ونقده ... ظهرت وشائك وعلاقات بين الرومانسية فى شعرنا العربى
والشعر الغربى وسلط النقد الضوء على إحساس الشاعر بنفسه كما

(١) النقد الأدبي أحمد أمين ج ٢ ص ٢٧٠ - ١٩٥٢ .

ظهر عند ... " إيليا أبى ماضى ، جبران خليل جبران فى المهجر ، ومطران ، عبد الرحمن شكرى فى مصر " ... حينما احتفوا فى الخيال ورفضوا الواقع مثلهم مثل الشعراء الغربيين مثل بليك ، ورد زورث ، وكوليدج ، شيلى ، كيتس ... الذين تبنا فكرة الخيال الخالق فهؤلاء الشعراء " استطاعوا أن ينتجوا شعراً عظيماً مقتعاً حين قصروا اتصالهم بواقع الحس على الأشياء الجميلة ، والخالدة فيه ، كالطبيعة التى عاشوا فيها دائماً بالقرب منها ، وكحب الأشياء التى لا قيمة لها باقية فى عالم الحس " (١) .

الواقعية ... من معانيها الانغماس فى الواقع والاهتمام بأحوال المتلقين والصدق فى العرض ، وكان عمر بن الخطاب يفضل زهير بن أبى سلمى لصدقه ، وأنه لا يعاقل فى المنطق ، ولا يتبع حوشي الكلام ، ولا يمدح أحداً إلا بما هو فيه ... وظهرت فى الغرب كاتجاه مضاد للرومانسية فيحكم على العمل الفنى بقدر ما به من اهتمام بالواقع ورفع رايته .

البوناسية ... وهي مدرسة الفن للفن (٢) قامت على الفلسفة الوضعية وعلى فلسفة كانت الجمالية وهناك اتجاه فى النقد القديم من ترك الحرية للشعراء المبدعين حين قال :

" كلفتمونا حدود منطقكم " فالشعر يكفي عن صدق كذبه

ويعلق د / محمد غنيمى هلال على تلك المذاهب قائلاً (٣) .

(١) فى نقد الشعر د / محمود الربيعى ص ٧٨ دار المعارف ١٩٦٨

(٢) فى النقد التطبيقي والمقارن د/محمد غنيمى هلال ص ٧ دار نهضة مصر

(٣) المرجع السابق ص ٧ .

" كانت الرمزية - و لم تزل حتى اليوم فى الشعر وفى المسرح قائمة على الاكتشافات العلمية النفسية وفلسفات الإحياء ، ثم كانت التعبيرية والواقعية الحديثة قائمة على اكتشاف اللاشعور وفلسفات الوجود الحديثة وتعد هذه المذاهب لحينها منذ الرومانتيكية ثورات فنية واجتماعية تمثل روح العصر فى وفاء له وفى صدق ومن ثم أغنت الآداب العالمية وأثرتها بمعانيها الإنسانية والفنية ثم مهدت للاتجاهات العالمية الحاضرة المتشابكة المعقدة التى يتجاوب بها الوعي الإنسانى فى مختلف اللغات " .

الرمزية : أو المذهب الإيحائى يحمل الصور واللغة والكبير من المعانى ، فقد رفض الرمزيون القاعدة الرئيسة للفن الكلاسيكى " الوضوح " وهاموا فى تهويمات ... بل يرون أن اللغة فى أصلها رموز اصطلاح عليها لتثير النفس لمعاني وعواطف خاصة ، والألوان والأصوات والعطورات تنبعث من مجال وجداني واحد ^(١)

نجد نقاط تلاق كثيرة بين الرمزية والواقعية والتعبيرية واتفاقاً فى مسائل عديدة بين اشتراكية سارتر واشتراكية ماركس ، وتيارات جمالية مشتركة بين ذوى الدعوات الأدبية المختلفة فى غايتها وأسسها الفلسفية ، وتتوحد هذه الاتجاهات ، فى عنايتها جميعاً بالكشف عن أزمة الإنسانية المعاصرة ، ومأساة الوعي الجماعي من حيث شعور الفرد باستلابه واغترابه فى المجتمع وشعور الإنسانية كلها بحرج ما تجتازه من فترة فاصلة فى تاريخها يتجلى فى صورة أسأ عميق يشف عن حمق

(١) النقد الأدبي الحديث ص ٣٩٥ .

الواقع وعبثه من جانب محدد اجتماعي أو في التشاؤم الميتافيزيقي الشامل^(١)

السريالية : وهو مذهب يتعمق أكثر في الألفاظ والأحاجي ويعلى من شأن الصورة في الشعر " تريد السريالية أن يكشف الشاعر بالصورة عن حالات النفس الساذجة الحالمه، إن صور الشعر مثل صور الأحلام وخواطر المرض لها ظاهر ولكن لا بد من تأويله بباطن يشف هو عنه ، ولذا فهي تكشف أحياناً عن الصور الغامضة للنفس في دقتها وسذاجتها. وقد تقابل نقدنا العربي مع هذه المذاهب كلها فأخذ منها وأعطاها .

الاتباع والإبداع .

نتيجة لقوة الاتصال وسهولته تيسر الأخذ والعطاء عن طريق المطالعة و الاحتكاكات المختلفة فنثار سؤال مهم .

هل الإبداع يناقض الاتباع للقواعد والأصول ؟

من الأديب .. ؟ الذي فهم التراث واستوعبه وجدد فيه بعد وعي ... ؟ أم من رفضه وسار في كل الاتجاهات ذهاباً وإياباً .. ؟ اختلفت الآراء تحت مبررات عدة منها الحرية الرغبة في التجديد السأم من القديم .

قالوا إن الفنان يمر بمراحل عدة المحاكاة ثم الاكتشاف " وهي مرحلة اكتشاف اتجاه موهبته ، بحيث يصبح قادراً على التركيب والتشكيل وإخراج أعمال تقف جنباً إلى جنب مع ما أنتجه السلف "

^(١) في النقد التطبيقي والمقارن د/محمد غنيمي هلال دار نهضة مصر ص

(١) وليس معنى هذا أن يكون مقلداً بل يجب أن يكون مبتدعاً مخترعاً ... لأن المقلد مهما أجاد لا يمكن أن تقف أعماله صامدة إلى جوار الأعمال المقلدة مما يوسمها بالزيف فتندثر ...

أما الأعمال الأخرى التى توسم بالآصاله فتبقى ... لذا لابد للأديب أن يفعل بما يكتب ويخضع لتجربه قوية تدفعه للإبداع والإجاده وعندما يأخذ الأديب نفسه بالدربة ، والمحاكاة ، ويستوعب الإرث اللغوى ، والتقاليد الفنية التى تشيع فى مجتمعه ... عندئذ يستطيع أن يتخطى مرحلة المحاكاة " بل إن ثمة نظرية تقول إن التجربه الفنية التى يخوضها الفنان لتجسيد تجربته الشعورية تعينه على اكتشاف احساسيه وفكره " (٢) فيصبغ عمله بالآصاله ... فالتأثر بالآداب الأخرى لا يوسم العمل بالزيف ... فتأثر الكتاب فى الأدب القومى بالآداب العالميه حقيقة يقرها الواقع فلم يثبت أن هناك أدباً خالصاً لم يدخله " السرقات الأدبيه التى تتبادلها كل الدول " (٣)

فالأخذ من الآداب الأخرى ، وتلاقح الأفكار سمة حياتية ملموسة ولا يوجد أدباً مبرعاً من الاختلاط لأن الأديب بمجرد ما يكشف عن أدبه ويظهره يخرج من ملكيته ويصير ملكاً لكل مطلع .

" كل أدب قومى يلتقى حتماً فى عصور نهضاته بالآداب العالميه ، ويتعاون معها فى توجيه الوعي الإنسانى أو القومى ، ويكمل وينهض ،

(١) الأدب وفنونه د / محمد عنانى ص ٢٦ .

(٢) الأدب وفنونه د / محمد عنانى ص ٢٧ .

(٣) الأدب المقارن ص ١٧ د / محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر

بهذا الالتقاء " (١) ولا يعني الاتباع أن يسير الفنان معصوب العين خلف المتبع قائلاً مثله مقتف أثره بل يجب أن يفهم ويعي ليدرك طبيعة الجمال في المتبوع يقول سانتيانا " إن طبيعة الجمال كائنة في الإدراك الحسي الذي يصاحبه حكم نقدي وعنده الإدراك الحسي الممتزج بالحكم النقدي هو إدراك للقيم (٢) .

والاتباع لا يعني ضياع الشخصية أو فقد الهوية ... فالمعروف ليس من جديد جدة مطلقة في الأدب أو في العلوم بل هي متوالية يوصل بعضها إلى بعض حيث ننظر في الآداب الأخرى ونستهدى ثمراتها وليس معني هذا " تخلي عن الأصالة بل لابد من ظهور الجذور فيما ينتج كما يري ت . س اليوت بضرورة المحافظة على التقاليد التي تعني عنده " اعتداد الكاتب بالتراث الأدبي العالمي كله مع التعمق في الأدب القومي ... وعنده أن خير إنتاج الأدب هو ما يتجلى فيه أن الأقدمين من نوابغ الإسلام لم يموتوا " (١)

فهو يقصد إنتهاج نهجهم والسير على دربهم ، وهو في هذا مقتفى أثر الجرجاني الذي دعاها صريحة بأن القدامي وقفوا على العرعر والحنطة ، فلا نقف على الورد والرياحين وأنهم اعتلوا الفرس والناقة ، فلا نمطي غيرهما من الركائب .

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

(٢) الإحساس بالجمال تخطيط النظرية في علم الجمال جورج سانتيانا ت د / محمد مصطفى بدوى مراجعة وتقدير د / زكى نجيب محمود الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١ .

(١) دور الأدب ص ٥ .

وأرى أن هذا الآن صعب تنفيذه فالمبدعون الجدد قد اخلوا الوفاض تماماً من السابقين وآثارهم - إلا قليلاً - فاستجدت موضوعات ، وحُدثت طريقة الأداء ، وتطورت الأجناس الأدبية وصار للمبدع مطلق الحرية فى التعبير تحت أي مظلة منها شاء بلا تكبيل له بسؤال بمن تهتدي ... ؟ وعلى درج من تسير ... ؟ ويجب تعميق ذلك المعنى فى الحقل الأدبي والنقدي بتنشيط وعى الأدباء والشعراء وإيقاظ ضمائرهم وشحذ همهم حتى يخوضوا بأقلامهم معارك التطور والتجديد ويدعموا الآراء والمثل الفكرية المستجدة النامية ، ويضمنوا بها الفوز السريع على المعتقدات القديمة المتداعية " (١) .

ولكن هناك تقاليد وقواعد يلتزمها الأدباء الجدد حتى تترسخ موهبتهم ثم لهم أن يضيفوا عليها ، أو ينسلخوا عنها لكن بعد إتقانها " أصبح تقليد تلك الخصائص الفنية للجمال الفني من أهم ما يحتذيه أولو المواهب من شدة الأدب وناشئته فى تأليفهم أعمالاً أدبية يجد قارئوها والمستمعون إليها مشقة فى روعة مضمونها كما يجدون تلك المتعة فى جمال صوغها وجودة تركيبها " (٢) .

فالأديب لابد أن يصقل عقله بالاطلاع على الآثار الجيدة التى تشكل تراثاً زاخراً ومعيناً لا ينضب " إن الفنان لا يتجه إلى الطبيعة إلا من خلال التقاليد الفنية التى يرثها من مجتمعه أو من تراث الإنسانية

(١) الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الأغريقية إلى الواقعية الاشتراكية محمد

ضيف الشوباشى ١٩٧١ دار الكتاب العربى ص ٢٣٦ .

(٢) سوانح وآراء فى الأدب والأدباء ص ٢٧٧ .

بصفة عامة " (٣) فهي التي توقفه على أرض صلبة ما تسقطه
الاهتزازات .

نظرية المحاكاة

وقد تعرض كثير من النقاد لنظرية المحاكاة وأخذ الأدب من
الآداب الأخرى وهي " عند كانتليان ٣٥ ق . م - ٥٦ م تشكل خطوة
واسعة لأن محاكاة الكتاب والشعراء فى الفن لا غنى عنها
- المحاكاة أمر جد تطلب استعداداً خاصاً ممن يحاكون - اتسام الكاتب
بالذكاء والخبرة المكتسبة من الدربة والمطالعة لكي يستطيع التمييز
فيقع على النماذج الجديرة بالاحتذاء من خلال جودة الموضوع واللب
والمقومات الجوهرية بلا تقديس للفرعيات أو الصياغة الجزئية - يجب
أن يكون الكاتب متمكناً من أدبه قادراً على الابتكار لأن المحاكاة وسيلة
لتنمية إمكاناته وقدراته فقط لا إيجادها من العدم (١).

وكما استفدنا من الغرب أفدناه وأعطينا له الكثير من آرائنا
وفكرنا والمجال مفتوح ودون الاقتصار على جنس ما فالآداب اللاتيني
ظل خمسة قرون دون أن يلفت الانتظار ثم بعد ذلك توجهت الأنظار تلقائه
ليوضح القيم الفنية التى يحويها ، وصارت كثير من الآداب فى ركابه
تحاكيه ، وليست المحاكاة هي الأخذ بين أصحاب اللغة الواحدة لأن هذا
يعني " منح لغتك ما هو فى حوزتها سلفاً " بل يجب الاطلاع على الآداب
والأجناس الأخرى وهضمها والمزاوجة بينها بما يمكن من خلق أجناس
جديدة يقول دي يلي .

(٣) الأدب وفنونه ص ٩ .

(١) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث د / غنيمى هلال - الباب الأول الفصل
الأول بتصريف - دور الأدب المقارن ص ٨ .

" لو أنني سألت عن خيرة شعرائنا لأجبت بأنهم أجادوا فيما كتبوا وأنهم أغنوا لغتنا وأنا مدينون لهم بالكثير ، ولكن أقول أننا نستطيع أن نخلق في لغتنا أجناساً من الشعر أكثر جدة وخصباً إذا بحثنا عنها في أداب اليونان والرومان " (١) .

وهنا يثور سؤال هل التزام الأديب الفنان للتقاليد الفنية الموروثة توسمه بالزيف والخداع ؟ بالطبع لا بل هو يقتفي أثر أجداده ويستخدم " الوسائل الفنية التي أثبت أسلافه قدرتها على تصوير التجارب الشعورية وتجسيدها بصدق .. ومن ثم قدرتها على التأثير في المتذوق بالصورة التي يريجوها الفنان " (٢) ولكي يؤثر في المتلقي لابد أن يكون هو متأثراً أولاً ... والفنان حينما يبدع يكون في عقله خبرات متراكمة من التقاليد الفنية استوعبها عقله ، ووعاها فكره ، وأحصاها خياله ، فاحتضنها في وجدانه وألهبت شعوره فانتالت على سن قلمه درراً تقلدت في جيد الزمان وتوارثتها الأجيال ، والأديب يتمتع بحرية مطلقة في اختيار موضوعه الذي يعبر عنه ولكن يجب أن يعي أصول الفن الذي يتكلم من خلاله " فإذا ازدادت معرفة الفنان بالتقاليد الفنية والمناهج التي اتبعها من سبق من الفنانين ازدادت حرية اختياره للموضوع والشكل معاً " (٣) .

فهي دعوة للاطلاع على الآداب المختلفة لأن الاتباع أو الإبداع لابد أن يسبقه التأثير والتأثر .

(١) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث د / غنيمي هلال الباب الأول الفصل

الأول بتصرف دور الأدب المقارن ص ٨ .

(٢) الأدب وفنون د / محمد عناني ص ٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠ .

أنموذج تطبيقي للتلاقى بين الأدب العربي والأدب الغربية

قد تطفئ الأسطورة وتشيع ، ويتناولها أكثر من أديب وفنان كل يضفي عليها وجهة نظره ويتناولها من خلال ثقافته ومعارفه . سواء أكان فى النثر أم فى الشعر ، فى اللغة الواحدة أو فى لغات عدة ، وهنا يركز النقد على إبراز العلاقات بين الأعمال المختلفة سواء أكانت علاقات تباين أم تلاحم فينظر إلى " منتجات أعظم المؤلفين فى كل دولة ، والمنابع التى انتهلوا منها أو استوحوها أو تأثروا بها ، وهو يعنى أيضاً بتلك التغيرات العجيبة أو التشويهات الأسيفة التى يحدثها الأفراد أو الشعوب فى منتجات الأجانب خضوعاً لظروف مختلفة ، وعوامل متباينة كالجهل والأوهام والأخيلة الخصبة والقصص المتداولة والمأثورات الموروثة وما إلى ذلك . وهو يوضح كذلك المصائر الجليلة التى ظفرت بها منتجات الكتاب الخالدين الذين اجتازوا حدود بلادهم الأصلية وصاروا دوليين " (١)

فأعمال تشوفسكى ، فيكتور هوغو ، شكسبير ليست ملكاً للأدب الروسى والفرنسى ، أو الإنجليزى بل صارت تراثاً إنسانياً عاماً من حق الجمع الأخذ منه بلا حدود .

إن أسطورة بيجماليون لبرنارد شو التى بلغت من الشهرة والذيع حدّاً بعيداً ، والتى دارت حول هجنز الشخصية الأروستقراطية المتسلطة المعتر بنفسه الكاره لكل ما يشغله عن ذاته واهتماماته بما فيها النساء ، " وإليزا " تلك الفتاة ... التى جاءت من أوساط لندن

(١) الأدب المقارن م. ف. جوربارت . د / محمد غلاب راجعه
د / عبد الحليم محمود نشرته لجنة البيان العربى " و .

وتتنمى إلى الطبقة الشعبية التى يبغضها هجنز ... ولنا أن نتساءل عن سر التقائهما ، إنها تتحدث لهجة من لهجات أحياء لندن الشعبية ^(١) ولما كان هذا الأستاذ فى علم الصوتيات مغرمًا باللهجات ، متبعًا لصنوفها وأشكالها ، مشغولًا بتسجيله لكل نوع منها ، فقد اهتم بهذه الفتاة وشعرت هى الأخرى بأن هذا الأستاذ قد يكون وسيلة لرفع مستوى لغتها إلى لغة الطبقة الأروستقراطية ، وتدفعها رغبته وبساطتها وإرادتها القوية إلى الاتصال بهذا الأستاذ رغم صلفه وكبريائه واحتقاره لشأنها سخر منها أول الأمر ، ولكنه اضطر أن يجاريها من باب التهكم والاستخفاف ، ويستمر العمل بين هذا الأستاذ الكبير وهذه الفتاة المنحدرة من حثالة لندن وتجرى أحداث القصة ويستمر الصراع بين الشخصيتين حتى يتم خلق هذه الفتاة من جديد ويتغلب عنادها وإرادتها على صلف الأستاذ وكبريائه . فتصبح الفتاة منافسة للوسط الأروستقراطى وللطبقة الممتازة ... لغة ... وأدباً ... وثقافة ... ويجد البطل نفسه آخر الأمر خاضعاً لها رغم أنفه .

ونتيجة لتواجد الطبقة المثقفة بكثافة فى الستينات والسبعينات

فقد اطلعوا على الآداب العالمية وشغفوا بالميز منها

وقد أعجب بأسطورة بيجماليون الحكيم لأنه رآها مستوحاه فى لوحة فنية بمتحف اللوفر بباريس ، ثم وجدها فى مسرحية مجسدة فأعجب بها .

وحينما استلهمها لم يتيبس عقله عند الأصل ولم يجمد عند النص ، بل تشبعت روحه بأصل النص الإغريقى ... فهما واستيعاباً

^(١) دراسات فى النقد المسرحي والأدب المقارن د/ محمد زكى العشماوى

جملة وتفصيلاً ، وحينما نصب قلمه للكتابة أبقى القلم إلا أن ينساب عليه فكر صاحبه ، ورؤية صاحبه ، وأفكار صاحبه ، فاستبدل نظرة " شو " الواقعية برؤية الحكيم الفنية ، " وجعل الصراع يدور فى روايته بين روعه الفن عندما يبلغ درجة المثال أو درجة الإبداع العليا ، وبين واقع الحياة ، ويفاجئنا الحكيم بانتصاره فى النهاية للفن ضد الواقع الذى كثيراً ما ينفر من الفنان الخالص " (١)

اتخذت معالجة الحكيم للفكرة شكلاً مغايراً فطوفان الرفض الثائر سيطر على الفكرة ... " جالاتيا " مخلوقة صافية الجمال والجلال هام بها خالقها فقد نحتها من الرخام ثم استبد به عشقها حتى بعثت فيها الروح ، وحينما بعثت أيقظت فيها المادة الأرضية الظائمة فجالت تبحث عن الرجل الذى يروى هذا الظمأ " بارسيس " ثم تعاود الرجوع إلى زوجها الراهب الفنان المشغول بفنه طول وقته وتعهده بالوفاء والسعادة ، يستجيب جزء منه لها فيغفر ، إلا أن الروح الفنية تسأم من قيامها بدور المرأة المعتاد فى شئون بيتها ... فما لهذا خلقها ... وإنما خلقها للجمال الخالص المجرد فيدعو الإله إلى تجميدها تمثلاً كما كانت ، ثم ينزع المكنسه من يدها ويحطم رأسها

فقد اكتشف أنها مست أرضيته وحركت فيه ما ظن بتبيسه من جمود شعوره وإحساسه وارتقائه بفنه ، حتى صار لا يخضع لما تخضع له البشر وهنا يعكس فكرتين سيطرتا على الحكيم ابتداءً ... انشغاله بفنه ونفوره مما يشغله عنه ولو كانت المرأة .

تحليقه فى عالم الفن والجمال ، وبعده عن الواقع أو إثارة للحياة الفنية عن الحياة الواقعية .

(١) المرجع السابق ص ٢٠٣ .

وأقول ابتداءً لأنه بعد ذلك عدل عن هذه الفكرة وتزوج ... ولاشك أن شو سيطرت عليه الروح الواقعية فقد خضع الأستاذ الأروستقراطى آخرًا للحب والجمال ودلف إلى عالمهما وأغلق الباب ، أما الحكيم فانتصر للفن ونفر من أسباب سعادته وحطم البنيان .

ثبوة الاتصالات ... أوجدت نوعاً من النماذج والمخالطة بين الثقافات المختلفة ، للاتفتاح والاطلاع عليها " وهذا الاتفتاح على الثقافات المختلفة ... وهذا الامتزاج بين لونين من الآداب وبين حضارتين وثقافتين ... وهذا التفاعل المثمر الذي يتم بين شعوب العالم جدير بأن يبعث الحياة والتطور فى آداب الأمم وأن يجعلها منتعشة مزدهرة تسرى فيها دفقة العافية وتنشر فى دماها عناصر إحياء وتجديد ... فتظهر فنون لم يكن موجودة من قبل .

وتتلون الحضارات بألوان جديدة ، ويبدو الإنسان المبدع سواء أكان شاعراً أم كاتباً أم فيلسوفاً ... أكثر قدرة على الدخول فى حوار حضاري مع العلم وأكثر عمقا فى إنتاجه بل ربما استطاع أن يتحول الاتجاه الأدبي والفكرى فى بلده وأن يتمكن من خلق أشكال جديدة من الفن لم تكن لها وجود من قبل " (١)

والتلاقح والأخذ والعطاء ليست ظاهرة خاصة عند الاختلاف اللغوي ، بل فى الأدب الواحد المنتمى للغة واحدة ، فقد تتبوأ قصيدة مكانة رفيعة فتغرى الشعراء بمعارضتها ... وهو ما حدث على امتداد تاريخنا العربى كله ... بل إن شوقى على مكانته ورفعته ، كان مولعاً

(١) دراسات فى النقد المسرحي والأدب المقارن د / محمد زكى العشماوى دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨ ص ١٢ .

بعيون الشعر ، ثابتاً جدارة فى معارضته لكبار أشعراء ، عارض
المتنبى ، البحترى ، أبا تمام ، ابن زيدون ،
أبا نواس ، الحصرى القيروانى وغيرهم ... وليس هذا منهج شوقى
فقط بل كل الشعراء يتبعون القصائد المتسمه بالملح والطرافة
فيعارضوها فقد عارض البارودى الشريف الرضى وأبا نواس
وعارض نونية ابن زيدون البحترى فى قوله :

يكاد عازلنا فى الحب يغرينا فما لجالك فى لوم المحبين
وأبو بكر بن الملح يقول ابن بسام فى الزخيرة

..... هذه القصيدة بجمالها فريدة ، وقد عارضه فيها جماعه
قصورا عنها منهم أبو بكر بن الملح نازعه فيها الراية فقصر الغاية
حيث يقول من قصيدة أولها .

هل يسمع الربيع شكوانا فيشكيننا أو يرجع القول معناه فيغنيننا
وشمس الدين محمود الكوفى قال :

ملابس الصبر نبليها وتبلينا ومدة الهجر نغنينا وتغنينا

كذلك الصفدى الذى اتهم ابن زيدون بأنه عارض البحترى فى قول

يكاد عازلنا فى الحب يغرينا فما لجالك فى لوم المحبين

وقد فند هذا رأى لأن البحترى لم يقصد التحدث عن حالته النفسية أو
طبيعته الشعورية بل كان يريد مقدمة لمدحه .

عارض ابن زيدون حين قال راثياً

تحكمت بعدكم أيد النوى فينا وقد قامت بنا دنيا تناديننا

هذا فى القديم .

أما حديثاً ... فقد عارضها الشعراء النابهون مثل الجارم البارودى ،
شوقى ، ثم حافظ إبراهيم ، إسماعيل صبرى .

قال ابن زيدون :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ثم قال شوقي :

يا نانح الطلح اشباه عوادينا نشجي لواديك أمر ناسي لوادينا

فبدهى أن الأدب في القرن التاسع عشر قد حاول جاهداً تحت إيقاع التغيير الكمي والكيفي في الخارطة السياسية ، الفكرية ، الجغرافية ، للعالم العربي أن يعبر عن واقع هذا التغير وأن يستحدث أشكالاً جديدة - ومضامين جديدة تصور زحف هذه الحضارة الواحدة في مداها وإنحسارها معاً " (١)

وقد يتأثر الأدب بعضه ببعض دون تلاقى الأدباء لكن الروح الأدبية تتماثل فمثلاً ميلتون ١٦٠٦ - ١٦٧٤ - كان كفيفاً وصلته بالدين متذبذبة ، كذلك أبو العلاء ٣٦ هـ - ٩٧٣ - تشابه ظروفه معه لكن لم يلتقيا .

(١) ابن زيدون حسن جاد ياسين ط ١ القاهرة .

الخاتمة والتناج

الإسلام ... أقوى مؤثر عدل موازين الناس ، ونصب قامتهم وقاد فكرهم ، وأنار طريقهم .. والفن لازم من لوازم الإنسان هذبها الإسلام ، قومها ولم يقاومها ، عدل مسارها فى اتجاهها الفطري الراقى ... تطور النقد على مر العصور ... فبدلاً من نظرات ساذجة ينظرها الأديب صار له رجاله المتخصصون واكتسب على مر العصور فى صدر الإسلام ثم الأموي ثم العباسي ملامح جديدة وتوجه توجهات أدق تخصصاً ، وأكبر استيعاباً ... ووضعت المؤلفات ذات المناهج المختلفة ... منها ما يعتمد على النقد الذوقي الموضوعي ، أنفني ، النفسي ... ولتطور الاتصال تطورت سبل الحياة بأنشطتها المختلفة حتى مست حياتنا الأدبية فالنقدية ... فطالعنا النقد الغربي وفهمنا مستجداته واستوعبنا خبراته واستقرنا تصوراتنا عن حياتنا الآتية وكيفية التعامل معها .

وتبلور النقد فى اتجاهين : أحدهما : يرتكز على تراثنا القديم والآخر : يشرئب نحو الأدب الغربي وهما فى ذلك يقتفیان أثر الأدب ... فمن الأدباء من اتجه لتقاء التراث استلهاماً واستيحاءً ، ومنهم من فض يديه من ذلك وارتمى فى خضم الأدب الغربي ناهلاً مرتوياً ، وهناك من التزم البين بين ... جذبه الأدب العربي بمعانيه واستملح موضوعاته ، فعبّر وهو يحتمي بجدران الأسلوب العربي الجزل ، والتعبير الجميل ، لكن بشكل عام يشيع الآن الاتجاه الغربي فى النقد لغلبته على الإنتاج الأدبي والإنتاج الغربي ليس غريباً كله فهناك مدارس تهتم بالناحية الشعرية ، وأخرى تحتفى بالناحية اللغوية ، وثالثة بالناحية الخيالية ،

ورابعة تنشغل بالأسلوب ككل ... فى ظل الموضوع المعبر عنه ، وكل ذلك له جذور قوية فى الشعر العربى تبلورت وتغيرت وأصبغ عليها ألواناً جديدة تمشياً مع العصر ومواكبة للتحديث .

المصادر والمراجع

١. ابن زيدون د / حسن جاد ياسين ط ١ القاهرة
٢. أسس النقد الأدبي عند العرب د / أحمد أحمد بدوى
٣. خصائص الشعر الحديث د / نعمات أحمد فؤاد مطبعة مخير ١٩٧١
٤. دراسات فى نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث د / بدوى طبانه مكتبة الأنجلو
٥. دور الأدب المقارن فى توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر د / محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر ١٩٥٦ .
٦. علم النفسى الأدبي د / سامي الدروبي دار المعارف ١٩٨١
٧. عن الأدب العربي المعاصر مدارس وأعلامه د/محمد أحمد العزب . ٢٠٠٢ .
٨. فى نقد الشعر د / محمود الربيعى دار المعارف ١٩٦٨
٩. فى النقد التطبيقي المقارن د/محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر
١٠. فى محيط النقد الأدبي د / إبراهيم على أبو خشبة الهيئة المصرية العامة ص ١٩٩٥ .
١١. قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث د / محمد زكى العشماوى الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٣ - ١٩٩٨
١٢. سوانح وآراء فى الأدب والأدباء د/ بدوى طبانه ط ١ - ١٩٩٧
١٣. سوسيولوجيا الغزل العربي فى الشعر العذرى ت - نقد محمد حافظ دياب دار الفجر ١٩٩٤
١٤. الشاعر والتراث دراسة فى علاقة الشعر العربي والتراث د / مدحت الجيار دار النديم ١٩٩٥
١٥. الصناعتين أبو هلال العسكري ج ١

١٦. الإحساس بالجمال تخطيط النظرية فى علم الجمال جورج
سانتيانا د / محمد مصطفى بدوى مراجعة د/ زكى نجيب محمود
٢٠٠١
١٧. الأدب ومذاهبه من الكلاسيكية الأغريقية إلى الواقعية الاشتراكية
محمد مفيد الشوباشى دار الكتاب ١٩٧١
١٨. التفسير العلمى للأدب نحو نظرية عربية جديدة
د/ نبيل راغب المركز الثقافى .
١٩. الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب د/
محمد محمد أبو ليله .
٢٠. الفن الإنسانى د/ عز الدين إسماعيل ٢٠٠٣
٢١. الأدب وفنونه د / محمد عنانى
٢٢. الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر د/ محمد فتوح الله دار
المعارف ط ١ - ١٩٧٨ .
٢٣. الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر د/ عبد القادر القط
دار الشباب ١٩٩٣ .
٢٤. النقد الأدبى أحمد أمين ١٩٥٢ ج ٢ .
٢٥. المدخل إلى النقد رشاد رشدى مكتبة الأنجلو ١٩٨٤
٢٦. المدخل إلى النقد الأدبى د / محمد غنيمى هلال
٢٧. الأدب المقارن م . ن . جوبار ت د / محمد غلاب نشرته لجنة
البيان العربى .
٢٨. من حديث الشعر والنثر طه حسين الكتاب اللبنانى ١٩٨٢
٢٩. مناهج التجديد أمين الخولى الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠
٣٠. نصوص من النقد العربى القديم د/ محمود الربيعى مطابع سجل
العرب .